

...لأنيّ لستُ شخصاً آخر

مختارات شعرية

منذر مصري

الهيئة العامة لقصور الثقافة

سلسلة آفاق عربية 122

... لأنى لستُ شخصًا آخر

(مختارات شعرية)

مُنذر مَصرى

لوجو
الهيئة المربع

سلسلة
آفاق عربية
تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• ... لأنى لست شخصا آخر
• منذر مصرى
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2009 م
280 ص. 13,5 × 19,5 سم
• تصميم الغلاف: أحمد اللباد
• المراجعة اللغوية: حسن نجار
• رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٢٤٢٣٠
• الترقيم الدولى: 978-977-479-788-2
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 أ شارع أمين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

(122)
سلسلة شهرية تعنى بنشر أعمال الأدباء العرب

الآراء الواردة فى هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة بل تعبر عن رأى وتوجه المؤلف فى المقام الأول.

... لأنى لستُ شخصًا آخر

منذ البداية، كان على شعرى أن يواجه الكثير من العراقيل فى طريقه للنشر. باكورتى (آمال شاقة)، لم تصدر أبداً، إلاّ انى انتقاماً لها، كما كنت أفعل بأغلب قصائدى مثل (فلسطينى وسودانى والثالث مغربى) و(بيروت جثة ترتدى ثوب السهرة) و(كتاب الهند الصغير) و(ساقا الشهوة)، طبعتها على الآلة الكاتبة وصورت منها نسخًا محدودة العدد، ومن ثم وزعتها، وكأنها منشورات سرية، على الأصدقاء وغير الأصدقاء.

مجموعتى الشعرية الثانية (بشر وتواريخ وأمكنة)، بعد أن سبقنى كل أقرانى نزيه أبو عفش، بندر عبد الحميد، عادل محمود، وحتي رياض الصالح الحسين أصغرنا سنا فى طبع مجموعاتهم، صدرت عن وزارة الثقافة السورية فى آخر شهر فى آخر سنة من عقد السبعينيات ١٩٧٩، العقد الذى كتبت فيه ما جعلنى، وجعل الآخرين، ليس جميعهم، يصدقون أنى شاعر. وكانت تتضمن ما أطلقت عليه حينها

قصائدى العمومية، فلم تكن تتضمن أية قصيدة حب. تنبه ونبه لهذا رياض الصالح الحسين عندما كتب عنها مقالته النقدية الوحيدة (منذر مصرى يؤرشف حياتنا اليومية). لكنى بعدها جمعت ما يقارب مئة قصيدة حب، لمرام مصرى، أختى، ولصديقى الراحل محمد سيدة. ولى فى مجموعة مشتركة (أنذرتك بحمامة بيضاء) صدرت أيضاً عن وزارة الثقافة ١٩٨٤ . ثم فى ١٩٨٩ لم يتح لـ(داكن) أن يبدد دكنته ويظهر للضوء، صدر وصودر من قبل وزارة الثقافة، بعد أن تمت الموافقة عليه بقرار، وقبضت مكافأته، وطبع منه ٢٠٠٠ نسخة، رجوت حينها أن يحرقوها، بدل رميها، عن بكرة أبيها، فى حاويات القمامة، حتي أنهم لم يعطونى نسخة منها كما وعدوا، كما لم يعيدوا لى المخطوطة الأصلية!؟.

الأمر الذى أدّى إلى قطع علاقتى الأدبية وغير الأدبية مع الوزارة، بعد أن كنت واحداً من بين الشعراء القليلين (المحسوبين) عليها، مقابل شعراء كثيرين، أغلبيتهم المطلقة شعراء قصيدة تفعيلة، كانوا محسوبين على اتحاد الكتاب العرب، الجهة الرسمية الثانية المكلفة بطبع وإصدار الكتب فى سورية، باعتباره إحدى المنظمات الشعبية التابعة لحزب البعث العربى الاشتراكى الحاكم فى سوريا

عام ١٩٦٣ لـلـيـوم، والـذى لم يـوافق عـلى طـبع (آمـال شـاقَة) إلاّ بالتعاون، كما لم يوافق حتى على قبولى عضواً فيه رغم استيفائى، حين قدمت الطلب، لشروط العضوية كافة. وهكذا، مثلى مثل أشباهى من الشعراء غير الحزبيين وغير المحسوبين على أى طرف، أوصدت كل أبواب النشر فى وجه شعرى.

ولكن بعد أن نشرت لى مجلة (الناقد) البيروتية (ساقا الشهوة) ١٩٩٥ ، القصيدة الملعونة التى كانت السبب الأول فى منع (داكن)، ومزقت الرقابة السورية صفحتيها من المجلة، كما حصل فى عدة بلدان عربية، جاءنى اتصال هاتفى من شركة رياض الريس للكتب والنشر، فى بيروت، يسألنى ما إذا كان لدى الرغبة فى أن أطبع عندهم مجموعة شعرية؟. وهكذا صدرت (مزهرية على هيئة قبضة يد) ١٩٩٧ متضمنة أغلب قصائد مجموعة (الصدى الذى أخطأ)، إضافة لقصائد أخرى (ساقا الشهوة) و(بيروت جثة ترتدى ثوب السهرة) (قصائد أخرى من الغرفة) وست قصائد من (بولينيزات)، فكانت وكأنها مختارات وليست مختارات. ثم لا أدرى أى مزاج كدر كنت أرتع فيه لسنوات، سمح لى أن لا أدفع بمجموعة جديدة للنشر حتى ٢٠٠٤ ، حين صدرت لى عن شركة

الريس أيضًا مجموعة (الشاى ليس بطيئًا) متضمنة القصائد التى كتبتها فى النصف الثانى من عقد التسعينيات. والتى فى ظنّى تمثل بداية توجه جديد فى تجربتى. غير أنه فى ٢٠٠٦ صدر لى عن دار أميسا فى دمشق (المجموعات الأربع الأولى)، التى تجمع (آمال شاقة) و(بشر وتواريخ وأمكنة) و(الكره أعمى الحب يرى) و(دعوة خاصة للجميع) وكانت بمثابة الجزء الأول من أعمالى الشعرية، علمًا بأن ثلاث مجموعات منها لم تكن قد صدرت سابقًا، مما دفعنى للقول: "كأنه شيء يحدث للموتى".

بعدها بسنة وعدة أشهر صدرت لى مجموعة جديدة (من الصعب أن أبتكر صيفًا) عن دار الريس أيضًا. التى تتضمن قصائدى من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٢ الأمر الذى أشعرنى لأول مرة بأن الأمور، بدأت، ولو متأخرا، تأخذ مسارًا شبه مقبول بالنسبة لى. وصار واضحًا بأن على أن أتابع فى توضيب القصائد التى كتبتها فى عقد الثمانينيات وبداية عقد التسعينيات، ضمن مجموعات وهمية جاهزة للطبع، (داكن مع الملحق)، (بولونيزات وتجارب أخرى ناقصة)، (رجل أقوال)، (المطولات)، ثم إصدارها مجتمعة فى الجزء الثانى من أعمالى الشعرية، ليأتى بعده الجزء الثالث متضمنًا

(الصدى الذى أخطأ) و(الشاى ليس بطيئًا) و(منذر مصرى وشركاه) و (من الصعب أن أبتكر صيفًا) أما ما سيتبع ذلك فهو ليس ضمن برنامجى بعد.

إلاّ أنه من الحق القول، إن مشاكلى مع نشر شعرى لم تكن تعود فقط إلى الظروف التى تتحكم بآليات نشر الشعر وسواه فى سوريا، أقصد ما كانت عليه أحوال الجهات العامة التى تخصص لها من الدولة فى سوريا ميزانيات مالية معتبرة، لطبع وإصدار الكتب، ودور النشر الخاصة التى بدأت بالظهور منذ الثمانينيات، والتى لا تطبع المجموعات الشعرية إلا على حساب أصحابها، بل أيضًا تعود أكثر، كانت وما زالت، لطبعى الشخصى ومزاجى الخاص: مرجئ ومتباطئ وكسول ومتردد ومكابر .. نعم بمكابرة خرقاء، كنت أرفض طبع أى مجموعة شعرية على نفقتى، الأمر الذى فعله شعراء كثيرون يقلون عنى ملاءة مادية ويزيدوننى موهبة!؟ متعللاً بأنه لا يليق بشاعر يحترم تجربته، أو لأقل يريد لها أن تبدو محترمة، أن يقوم بإصدار مجموعاته الشعرية على حسابه، ولكنّى فى الوقت نفسه، عندما كان يأتى ناشر ما، ويعرض على نشر مجموعة فى داره- حصل هذا أكثر من مرة- كنت دائمًا أتقاعس وفى قبولٍ هكذا

تضحية، حتى جاء الوقت ولم أجد مفراً من قبول عرض شركة الريس، ثم بعدها دار أميسا، كما ذكرت. فإلى متى سأظل مستمتعاً بتمثيل دور الضحية؟ إلى متى سأظل مطمئناً أنه سيأتى أحد ما، هيئة رسمية ما، دار نشر أنشأها موسر عربي يحب الشعر فى المستقبل القريب أو البعيد، ويصار إلي إرغامي على أن أقدم لهم شعرى، فيقومون بطبع وإصدار قديمه وحديثه، وكأننى شاعر يتوقع له، رغم قلة إصداراته، شهرة عربية ودولية مدوية، وربما، لماذا لا، نيل جائزة نوبل، مع أنى لم أنل أى جائزة شعرية فى حياتى! إلى متى سأظل مطمئناً أن شعرى مهما تقادم عليه الزمن، يستحق النشر، وأن الناس سيجدون فيه ما يستحق أن يبتاعوه ولا يعيدوه للبائع بعد قراءة قصيدة أو قصيدتين منه؟ كما أخبرنى مرة صاحب مكتبة !. ماذا أريد أكثر من عرض جيد كهذا؟ ماذا أريد أفضل من هكذا فرصة!؟. أمّا بعد مشكلتى الشخصية هذه، تأتى المشكلة التى كان لها الدور الأول، فى إعاقة نشر شعرى، وكانت.. شعرى بالذات!! شعر هو نثر بكل معنى الكلمة!، أقص وأحاور وأصف وأكثر من التفاصيل، بل أسهب وأثرثر!، واقعى مادى، رافض لما يعرف أنه لغة شعرية، جاحد بأدوات الشعر وأغراضه التقليدية، فلا

خيال ولا مبالغات ولا ادعاء لبطولة أو تضحية !؟ حقيقى، يحرص ما بوسعه أن يكون صادقًا "علينا أن نبعد الكذب عن شعرنا كما نبعده عن حياتنا"، مقتصد لحد التقتير بالاستعارات والصور، يوقع قصيدة النثر فى أخطر مطباتها، السردية!! أى كنت وكأنى أكتب شعراً ضد الشعر.. وبالفعل، كنت عن سابق قصد وتصميم أكتب شعراً مضاداً للشعر الذى كان يروج له ويسود فى سوريا، ما جعلنى مرة أقول: "كتبت شعراً لأرى الآخرين وجهة نظرى فى كيف يجب أن يكتب الشعر" قلت هذا ولم يكن لدى أى باع بالشعر، لم يكن لدى أية عدةوراثية أو تربوية، لغوية أو فكرية، لخوض غماره! ولكن كان لى باعى الشخصى، وعدتى الشخصية، كان لى المقدرة أن أعلم ماذا أفعل وكيف أفعله كما أظنه يجب أن يفعل. وهكذا لم أعدم الذين يحملون شعرى، ويحفظون مقاطع منه، ويدورون به!! فاجأنى هذا! فاجأنى منذ أول قصائد نشرتها ١٩٧٤ ومنذ أول مجموعة اصدرتها أنه صار لى اسم وصار لى مكانة فى واجهة الشعر الجديد فى سوريا!. (بشر وتواريخ وأمكنة) و(أنذرتك بحمامة بيضاء) استقبلا أروع استقبال!! وكأنه صحيح ما كنت أدعيه، أنا الذى كنت أدعى بأنى لا أدعى شيئًا، بأن هذا هو الشعر

الذى ينتظره الناس ويريدونه ! ! شعر الحياة، مكتوبًا بلغة الحياة، لا شعر الشعارات والأيدولوجيا، ولا لغة القواميس والمعاجم، لا شعر القوالب الجاهزة منها والدارج. لذلك صحيح أيضًا بأنى كنت محظوظًا، أعرف شعراء واعدين وموهوبين كثيرين، كتبوا قصائد رائعة، وأعدوا باكوراتهم الشعرية، ومخطوطات عديدة بعدها، كانت، لو صدرت، لأعطت وجهًا أشد غنى وروعة، للشعر السورى والشعر العربى الجديد لا ريب، ولكن لم تتح لهم الفرصة، ولم تكن لهم الإمكانية، ولم تقدم لهم يد المساعدة، ليصدروا أيًّا منها، فبقيت فى أدراجهم، أو وضعوها، مع غيرها من أحلامهم وأطماعهم، داخل علب من الورق المقوى، فى زوايا شرفاتهم.

نعم ، بمناسبة إصدار هذه المختارات، أشعر بأنى شاعر سعيد الحظ فعلاً. غير أن الحظ، أو أى شىء آخر، لن يكون بمقدوره أن يجعل من شعرى أو شعر غيرى، شعرًا حقيقيًا ويعاد إليه لسبب أو الآخر. نعم أومن بأن الشعر الذى يستحق الاسم واللقب والوسام، هو الشعر الذى يساعد الناس ويخدمهم، فى بحثهم الدءوب والشاق، منذ لحظة ولادتهم إلى لحظة موتهم، عن سعادتهم ومعناهم..

منذر مصري

اللاذقية– ٢٨ / ٨/ ٢٠٠٨

من (آمال شاقَّة)

- أشدُّ ما أكرَهُهُ فى اليأس ... سُهولتُه .

هرولَ نَيسان - قليلُ العقل -
مبتهِجًا صوبَ الشُكنة
وهناكَ عاليًا عاليًا
فتحَ مِظلَّتَهُ الزرقاءَ العميقة
وعلى بدنِ الساحةِ الغربيةِ الوَسِخ
تصوَّروا
فرَشَ قميصَهُ الأخضرَ النَدى
الَّذى تعرِفونَه ..

مدرسة الإشارة - حمص

وحلُ السماءِ

البُندقيةُ للصُّورِ التَذكارية
والبوطُ للنُزُهات .

تُمطِرُ الأمطار
فيشتغِلُ الهواءُ ويُطيِّرُ الناس
ما عدا نَحنُ الحُفاة
أقدامُنا عالقةٌ
فى وحلِ السماء ..

مدرسة الإشارة – حمص

خِزانتى جُيوبُ معطفِى
ورأسى شِهاب .

فى المرَّةِ الراكضة عندما سيغضَبون
سوفَ أنسى كلَّ شىء
ولن أُخطئ
فيسرِقُنى منهُمُ الشُّرود
ويَحفَظُنى فى كتاب .

مدرسة الإشارة– حمص

نُجومٌ بيضاء

ارتفِعى يا رِجلىَ اليُسرى
وخفِّفى عنكِ يا قِربَتى
على طرفِ هذا الباب .

نُجومُ هذهِ اللَّيلةِ بيضاء
وحياةُ الكِلاب
قاسية ..

مدرسة الإشارة – حمص

الأرضُ خادِمة

فى الصيفِ تكنُس
فيلوحُ لنا فَخذاها وخَدّا أليتَيها
وفى الشتاءِ تشطُف
فتبرُد وتبكى .

الأرضُ طِفلةٌ
أحضرَها أبوها لتعملَ عندنا
خادِمة ..

مدرسة الإشارة – حمص

نادَوهُ
إلى حيثُ يُطبِّلونَ ويُزمِّرون
ولم يَجدوا لهُ عُذراً
عندما فَتَّحَ عينَيهِ قليلاً
ثمَّ عادَ إلى النوم .

فهم لَم يُلاحِظوا أنَّ نَظَراتِهِ
تغيَّرَت
وأنَّ حماستَهُ القديمةَ تنقعُ قدمَيها
بالماءِ البارد ..

مدرسة الإشارة – حمص

عالَمٌ منَ النُور

عندما صاح : (يا اللَّه ...
أرى عالَمًا منَ النُّور) .

كانَ يحشُرُ إِحدى عينَيه
فى فُوَّهةِ
مِصباحِهِ الكهربائى ..

تسيل- حوران

الشَقى

حطَّمَ الميزان
وطلَّقَ القافية
وقال :(علىَّ أن أعودَ عاشقًا
علىَّ أن أكونَ هواء) .

قال :(وَداعًا للطُرُقِ المُعبَّدة
وَداعًا لإشاراتِ المُرور
علىَّ أن أتَّخذَ دربى عَبرَ الغابة
علىَّ أن أكونَ
شقيًّا) ..

الزقزقانية

(إلى محمّد سَيدة)

وقَعَ بكِ ... إبريقًا فى بَحر
وراحوا يرونَكِ
تسيلينَ من عينَيهِ
وتَحت إبطهِ
ومن أطرافِ أصابعهِ .

ازدانَ لكِ على المفارِقِ الَّتى تتلَوّى
وتَمرُقُ من بينِ قدمَيه
حتّى صارَ هزيلاً
ولا يُصَدَّق جَمالُه
ولأجلكِ تعلَّمَ الحكمةَ الَّتى نسوها
فذكَّرَهم بِها ثمَّ نَسيَها
حتّى تضاربَت الآراءُ حولَه
وباتَ لا يُصَدَّق
عِلمُه .

طَوالَ العُمر
كانَ المجنونُ يُردِّدُ بصوتهِ الفالت
ما بودِّه لو استطاع
أن يقولَهُ همساً فى أُذُنكِ
حينَ يَحملُ نفسَهُ
ويُصادفُك
حتّى أشاروا إليهِ
وسَمَّوه :
الكَنارُ المُزعِج ..

حجابٌ أزرق (فاطِمة روشَن)

حَمَّلَتنى جَدَّتى
حجابًا تَحتَ إِبطى
أزرقَ
يَحمينى منَ العينِ
ويَحرُسُنى .

وعلَّمَتنى :
(يا بنى اضحَكْ مع الناس
وابكِ مع الناس
واعملِ الخيرَ وارمهِ
على الناس) .
وها العُمرُ يشُدُّ على رأسهِ
قُبَّعَتهُ الدَّهريةَ ويَمضى
وليسَ فى حِزامى
ولا فى بيتِ مالى
ما أرمهِ فى البحرِ سوى

النَّظرات
وما أرمهِ على الناس
سوى
الكلمات .

لذا على رَفٍّ نافذتى
فى حَىٍّ مُتوسِّطى الحال
أصيصٌ منَ القُلوبِ البيضاء
لأنامَ كالشُّعراء
وألتقطَ
الوقت ..

من مجموعة (بَشر وتواريخ وأمكِنة)

إِلى خالدية

يضَعُ حصَاةً فى جيبه

يضَعُ حَصاةً فى جيبِه
ليتذكَّر
ويربُطُ خيطًا بإِصبَعِه
ليعرِفَ كيفَ يعود
حتّى فاضَت بالحَصى جُيوبُه
وتشابكت أصابِعُهُ بالخُيوط .
. . .
وضاع . .

أعياهُ تقسيمُ السماءِ إلى مُربَّعات

أعياهُ تقسيمُ السماء إلى مُربَّعات
ومحاولاتُ حَصرِ النُّجومِ والكواكِب
ولَم يَجد بعدَ كلِّ ذلك
أقلَّ ما يَحتاجُهُ المَرءُ منَ الأجوبة .

فعادَ مرَّةً أُخرى إلى الأرض
ليرسُمَ الخرائط
ويصنَعَ الأحذية ..

دخَلَ حربًا وخرَجَ منها سالمًا .

غيرَ أنَّ الأُمور
ليسَت بِهذهِ السُّهولة
فالنارُ قد شارَكتهُ فِراشَه
والتحفت أحلامُهُ
بالدُّخان ..

قضى حياته فى حروب

قضى حياتَه
فى حروبٍ قامَت وما قعَدَت
بينَ أُمِّه الغرائز
وأبيهِ العقل .

وقبلَ أن يَموت
فوجئوا حينَ أسَرَّ لهم
بأنَّ ما قتلَهُ هوَ
أُختُهُ
العاطفة ..

مرَّةً تحتَ النافذة
تَمَهَّلَ كثيراً حتّى كادَ يقفِ
ومرَّةً تحتَ النافذة
أخرجَ لسانَهُ وأدارَ ظهرَه .

مرَّةً في السينما
كانَ يتلفَّتُ للوراءِ كثيراً
ومرَّةً في السينما نامَ
ومرَّةً اختفى .

مرَّةً على المائدةِ ارتبكَ
ومرَّةً على المائدة
كانَ يتذكَّرُ بصوتٍ مُرتفِع
ومرَّةً بصَق .

مرَّةً في الشارع

كانَ يقرأُ جريدةً
ومرَّةً في الشارعِ
وقفَ وانتظرَ طويلاً
ومرَّةً
رأوهُ بصُحبةِ امرأة .

مرَّةً في الخَندق
كانَ يضحَك
ومرَّةً في الخَندق
كتبَ رِسالةً ثمَّ مزَّقَها
ومرَّةً كانَ يضحكُ أيضًا
لكنَّهُ فجأةً
توَقَّفَ عن كلِّ ذلك . .

إنَّها تمطِرُ في العاشِر من حَزيران

إنَّها تُمطِرُ فى العاشِرِ من حَزيران
وليسَ لكَ أن تسلو - ولو قليلاً -
لتنظُرَ عَبرَ النافذة
ويبدو عليكَ
بعضٌ منَ الدَّهشة .

إنِّها تُمطِرُ فى العاشِرِ من حَزيران
وماذا يُجدى ذلك
مع صَدْرٍ مُطبَق
وقبضةٍ تشُدُّ على القلب .
كيفَ لكَ أن تغزِلَ خيطًا آخَر ؟
كيفَ لكَ أن تنسُلَ خيطًا آخَر ؟
إنَّها تُمطِرُ فى العاشِرِ من حَزيران
وهذا
لا يدعوكَ لشىء ..

طرطوس

رُتيلاءُ سوداءُ صغيرة

بِحَذَرٍ تهبِطُ رُتَيلاء سوداءُ صغيرة
بثَمانِ أرجُلٍ كما توقَّعتُ
على حافَّة النافذة
فوقَ كَتِفى .

برأسِ قلمى عابثًا اعترضتُ سبيلَها
وجَمَت لحظةً ثمَّ راوغَت قليلاً
ثمَّ قفزَت مُتمِّةً هُبوطَها الأخير
إلى الأرض
قُربَ حِذائى .

رفَعتُ ناظِرى وأطلقتُهُ خارِجًا
حيثُ مُستطيلٌ من سماءٍ ضيِّقة
محشورٌ بينَ أجسامِ الأبنية
وما عُدتُ أذكُرُ
أيَّةَ أفكارٍ كانت تسلو عنّى

قبلَ أن ألحظَها ..

الآن ... أغلقتُ لتوّى كِتابًا

ألصقتُ بِمُحاذاةِ صورةِ ستالين
صورةَ بابا هيمنجويه
وهوَ ينحنى مُبتسمًا للموت
فوقَ جُثَّة ثورٍ إفريقى
أخرجَ لِسانَه .

دَندَنتُ بلحنِ الكومبرسيتا
وأنا أُراقِبُ ثلاثةَ عُرجانٍ فى مُقتبَلِ العُمر
صادفتُهمُ البارِحةَ يَخطُرونَ على الشاطِئ
بأيدٍ مُتشابِكة .

الآن
أغلَقتُ لتَوِّى كتابًا
ثمَّ أطلقتُ تَنهيدة
وهذا يعنى - بالنسبةِ لى -
أنّى لا أختلفُ كثيرًا

بِمُرورِ الأيام ..

(البُرتقالة)

تبدأُ الحياةُ من إبْهامَيك
عندَ مُنتصف وأعلى البُرتُقالة
لحظةَ يُصيبُكَ فى إحدى عينَيك
شىءٌ من رَذاذها الكُحولى
وأنتَ تشطُرُها إلى فَلقتَين .

حَيًّا وبينَ يديَك
فلقَتا بُرتُقالة
لاَ سعادةَ أقصى أستطيعُ أن أرى
ولا سعادةَ أقصى لكَ أن ترومَها
فالحياةُ بالتحديد
هىَ ما سوفَ تعصِرُهُ بعدَ ذاك
بأسنانِك . .

دمشق

فى بَيروت سبَحَ كالإنكليز
ولَم يَخجل
يقرُصُ الفتاةَ من ظهرِها
ويغطسُ
فتراهُ وتصيح :
(سَرطعون سَرطعون !)

عملَ ساقيًا فَترةً غيرَ مُحدَّدة
الأمريكية
وضعت يدَها على ...
ولَم تطلُب سوى كوكاكولا
والفرنسيةُ القصيرة
فتحَت لهُ الباب
وهىَ عارية ! .

أدهشَ الجميع

وسألَ الإيطالى ذا اللحية
بلُغة إيطاليةٍ سليمةٍ مئةً بالمئة
تعلمَّها عندما عمِلَ مساعدَ طبّاخٍ إيطالى
فى إحدى السفنِ اليونانية :
(ماذا تُفضِّلُ على العشاءِ يا سنيور ؟)
ورفضَ البَقشيشَ بالطَّبع
لأنَّهُ أيُّها الصديق
يعتبرُ نفسَهُ
سائحًا أيضًا .

عادَ أخيراً
بلهجةٍ ممطوطة
وبنطالٍ ضيِّقٍ بلا جُيوب
لكنَّهُ تعلم كثيراً
يقولُ وَداعًا بسُهولة
هكذا الحياةُ فى بَيروت .
يُحبُّ أمريكا
وخاصَّة هوليوود
الَّتى أخذَ فيها صورةً
بجانب مارلين مونرو
منَ الورَقِ المُقوَّى

أبوهُ قالَ لهُ : (اذهبْ ...)
لكنَّهُ وصَلَ إلى قناعةٍ تامَّة
بأنَّ هوليوود
ليسَت المكانَ الَّذى خُلِقَ
ليحيا به .

ابتاعَ من أُسبوعَين
ساعةَ جوفيال مُستعمَلة
وفى اليومِ الأولِ من الشهرِ الحالى
وضعَ فوقَها راتبَهُ الجديد
مقابلَ سايكو مُزيَّفة
بسنةٍ واحدة
أبدلَ اثنتى عَشَرةَ ساعة
لَعلَّهُ يعودُ للعملِ قريبًا
وو وو وو
قِطارُ أحلامِه ..

تسيل- حوران

رَجُلٌ ضَلَّ الطريقَ مِراراً

(إلى و. ب. ييتس)

فى الرابعةِ والسبعين
بدا أشدَّ حيرةً
وأقلَّ إيمانًا بما لا يُقاس :
(فى التاسعةَ عشَرة
كانَ علىَّ ألاّ أفعلَ ذلك
أمّا فى الثلاثين
فقد كانَ علىَّ ألاّ أفعلَ ذلكَ أيضًا ...)
كانَ على عادتهِ المرذولة
لَم يُقرِّر بعد :
(أُريدُ أن أعودَ للصِفر) .

فى الرابعة والسبعين
لا يُكلِّفُ المرءَ الكثيرَ منَ الوقت
أن يتماسَكَ
ولو فقط أمامَ حاسدِيه

لكنَّهُ بدا للجميعِ أقلَّ حجماً
وأشدَّ إثارةً للشَّفقة
ومن جديد
كانَ بوُدِّه لو ينسى
: (كلُّ ما فعلتُهُ فى حياتى
حماقاتٌ مُتكرِّرة) .
فى الرابعة والسبعين
كرَّسَ مجدَه
فاشلاً خالداً
ما بَناهُ عاليًا فى السنينَ الأخيرة
ألقى بنفسه منهُ
كما فعلَ تَمامًا
بما بناهُ عاليًا فى السنينَ الماضية .
رَجُلٌ
ضلَّ الطريقَ مِرارًا
فوصَلَ إلى
قلبى ..

المقاطعُ الخَمسة

(رُبَّما الوَحدة هىَ السَّبب، كما
كانَ الآخرونَ فيما مضى)

(المقطع الأول)

إِذا تغاضَيتُ عن
المَجَلَّة الرَّخيصةِ المُصوَّرة
والمذياعِ اليابانى
وعُلبةِ المحارمِ الورقية
تلكَ الأُمور
الَّتى لا يُحِبُّ الشعرُ
التَدخُّلَ بِها .

لَبقىَ لَدىَّ على المِنضدة
منفضةُ سجائرَ صدئةٌ
لا أستعملُها مُطلقًا
ووِعاءٌ أُسطوانىٌّ طويل
منَ الأَلمنيوم
كانَ ذاتَ يومٍ مُعبّأً
بالملحِ الفوّار

أو بِمسحوق الحليبِ الجافّ
وقد اعتمَرَ الآن
باقةً كبيرةً مُشوَّشة
من أزهارٍ
زرقاءَ
وحمراءَ
وبنفسجية
لا رائحةَ لها .

تَماماً
تَماماً
كخليطِ ذِكرياتى الحاضِرة . .

(المقطعُ الثانى)

رُبَّما الوَحدةُ هىَ السَّبب
كما كانَ الآخرون
فيما مضى

لأن أُعيدَ التفكير
ثلاثَ مرّاتٍ
على هذا النَحو
فأرتبِك
وأتناقض
لكنَّ الربيعَ قد حَلَّ هنا أيضًا
وكأنَّهَ جاءَ خِصِّيصًا
ليُشارِكَنى
خَلوَتى
وهكذا حينَ أخرُجُ إِليه صباحًا قُرابةَ السادِسة
ليسَ لى أن أنظُرَ بعيدًا
وحيثُ تنتشى وتتمدَّد
حشائشُ لا أسماءَ لها
وتتلألأُ فى عينَىَّ الساخِنتَين
نقاطُ الندى
على رءوس الأنصالِ الخُضرِ المُدبَّبة
فأقفُ عن السيرِ قليلاً
لأُنصتَ
إلى وُلوجِ الربيعِ
إِلَىّ
وتفتُّحِ

زهرةِ
روحى الصغيرة ..

(المقطعُ الثالث)

ساعتى المُصفرَّةُ القديمة
ما زالت تَحوزُ
على رِضى الزَمَنِ

ورِضائى بآنٍ واحد
فلقد علَّمَتنى أخيراً
أن أُفرِّقَ بِحدَّة
بينَ أُمورٍ
لا فرقَ بينَها فى النِهاية
كالحياة العريضة
والحياةِ المُستعصية
والزَّنابِقِ المُدلَّلة
والأعشابِ الَّتى يرتديها الدَّربُ
فتُبليها الأقدام
وأن أضعَ نُصبَ عينَى
ما لا أستطيعُ أن أرى
ويداىَ تلتقطان
ثِمارَ الأشجارِ المُتساقِطة ..

(المقطعُ الرابِع)

فى قلبِ كلِّ شقيقةِ نُعمان
حُزنٌ أسوَد
وكما كان يقول أبى :

(علينا أن نبكى
فقط
تَحسُّراً على حياتِنا القصيرة)
لكنّى بدَورى كالجميع
قد اكتشفتُ أمراً آخَرَ
يكادُ يُعادلُهُ صَوابًا
وهوَ أنَّ منَ الحِكمةِ أيضًا
أن لا أتلهى بِهذا
وإِلى حيثُ تستلقى بَهجتى على
الأرض
أُريدُ لقدمَىَّ أن تعرِفا الطريق
وروحى أن تقطُن
ولو
لبُرهةٍ خاطِفة ..

(المقطعُ الخامِس)

يبدو يسيراً كلُّ ما يبدو واضِحاً
ومنَ الكوة ذاتِها
الَّتى تُضىءُ لى كلَّ ذلك

أرى أُفُقًا
بارِدًا
أبيضَ
يلمسُ الكَتف
ولا يعدُ شيئًا
وأنا كما أُصدِّقُ حيادَهُ الأزلى
أعرِفُ نفسىَ عن قُرب
فلستُ الآنَ ما سأكونُهُ غداً
وإِن بقىَ كلُّ ما لَدى
فى مكانِه
ولن يبدو يسيراً حينذاك
ما بدا للرجُلِ الآخَر
فى غايةِ
الوُضوح ..

خربة القريعة – حوران

(إلى مصطفى عنتابلى ... مَن منّا كانَ
على صَواب؟ كِلانا كانَ يهذى با لحقّ)

ما يجعلُ الذاكِرةَ من دمٍ ولحم
هوَ أنتَ
تَقْضيمُ أوراقَ الكيناالمُرَّة
وتدورُ بِها على أُنوفِنا
(أيامٌ بنفسِ المَذاقِ ستأتى
تذكَّروا هذا)
وليسَ بنفسِ الرّائحة
كانَ عليكَ
أن تزيد .

واليوم
يستطيعُ تَكرارَ ما قُلتَه
رَجُلٌ ليسَ لهُ عيناكَ
وليسَ لهُ خُطواتُك

فلقد خسرنا الكثيرَ حقًّا
لكنَّ عظامَنا باتَت أشدَّ غلظةً
وظلالَنا أشدَّ كثافة
وقد تعلَّمنا الحياة
واعتدناها فى النهاية
أ خفيفةً كانت
كثمارِ الجَوزِ الفارغة
أم قاسيةً وبلا لُبٍّ
كالحَصى
فهىَ تَحتَ أضراسِنا
سواء .

أما سمعتَ بأفعى نبَتَ لرأسِها
جسدٌ آخر
وشجَرةٍ خرَجَ لجذعِها
رُءوسٌ أُخرى
وبَشَرٍ آخَرين
على هذا النمَط
أو ذاك
إذن . . .
الوقتُ لَم يفُت

ورُبَّما غداً أوانُ كلِّ شيء
وهذا يكفي كلاًّ منّا
أن يبقى على ما هوَ عليه
فما زالَ في قُلوبِنا
ما لا حياةَ لنا
بدونِه .

من منّا كانَ أشدَّ صَوابًا ؟
ليسَ أنا
وليسَ أنت
كلانا كانَ يهذي بالحقّ
إنَّهُ فقط
ما جَمعنا بقبضاتنا من هواء
وما لفَّ على أرجُلِنا
من دُروبٍ مقطوعة
وما حزَمنا في رءوسنا
من باقات أمل
بدا وكأنَّهُ قَشٌّ
ينتظرُ النّار
لكنَّهُ كانَ حطبًا
هذا ما أُريدُ قولَه

والآن
وأطرافُنا يُضيئُها الحريق
أ لا يَحُقُّ لنا أن نُعيدَ
فتحَ حسابَ تلكَ الأحلام ؟
ما دامَ يشُدُّ بنا ويأخُذُنا
ذاتُ الجُنونِ
وذاتُ الحماسة
ما دامَت بِحَوزتنا
ذاتُ القُدرة
على الانتِظارِ
والضجَر
وما دُمنا على ذاتِ العناد
لأن نكونَ
سُعداء .

ما يجعلُ الذّاكِرةَ من صَوّان
هوَ أنتَ
تقضُيمُ سِنيَّ الأعمارِ المُرَّة
وتَحشوها فى أُنوفِنا
ثمَّ تقولُ ما تأكُل
وتبصقُ التفاصيل

وغداً لن يستطيعَ اجتِرارَ ما قُلتُهُ
رجُلٌ مِثلي
لهُ عيناىَ وخُطواتى
فلقد كانَ لنا أن لا نَخسَرَ إلاّ
القليلَ حقًّا
وأن نُعلَم الحياةَ
بدَورِنا
درساً ..

من (الكُرهُ أعمى الحُبُّ يرى)

– لكِ . . . أنتِ الّتى تَحسَبينَ الكَسرةَ تعودُ لامرأةٍ أُخرى .

أنتِ على الشجَرة - خيرٌ من عَشرٍ في اليد - وأنتِ في المنام - خيرٌ من أربعٍ على السرير .

طاوِعيني طاوِعيني - وكوني خليلتي
فرَغبتي حمراء - كالتفاح - وجسدُكِ أبيضُ
كصحنِ
البورسَلين . .

ما أنا إلاّ حانوت

تسترسِلينَ بالدهشة – وتتسربَلينَ بالضياعِ واللذَّة وأنتِ مُتربِّعةٌ في أحضاني – وكأنّي مدينةٌ كبيرة .

وما أنا على حقيقتي – أكثر من حانوت – أو قَريةٍ صغيرةٍ نائية . .

ميزانُ الدُنيا والآخِرة

إِذا كانت الرغبة - وكانَ الخَوف - كفَّتَى ميزان - الدنيا والآخرة فالخوفُ - مُعلَّقٌ بأهدابِ حبيبتى - وعَتمة حَدقتيها - والرغبةُ - أسيرةٌ هانئةٌ بينَ ساعدَيها الضعيفَين - وشَفَتَيها المُسافرتَين - أبداً فى المعانى ..

كما يَحتفِظُ اللَّهُ بأسراره

يَحقُّ لكِ ألاّ تنبُتى فى قبضتى - فالورودُ لا تطلعُ إلاّ فى البساتينِ
والقلوب
ويَحقُّ لكِ ألاّ تنتشى - وأنتِ وراءَ ظهرى - أو تحتَ إبطى -
فالنشوةُ تأتى منَ الصدورِ والبِحار - لا منَ الكهوفِ والأقبية .

أبحثُ عنكِ متلصِّصًا كعادتى - فلا أراكِ خلفى أو بينَ أصابعى
أخاف
كيفَ أنساكِ - وتذهبين - وجسدى يحتفِظُ برائحتِكِ - كما
يحتفِظُ اللَّه
بأسرارِه ..

لا تُحِبّيني السبتَ والأحد

لا تُحبّيني السبتَ والأحد والإثنَين والثلاثاء والأربَعاء
أمّا الخَميس
مساءَ أُريحُ متاعِبي
على الأرضِ قليلاً
وأرنو إلى شُبّاكِكِ
...
أزيحي بيَدكِ البهيةِ ستائرَهُ البيضاء
وابتَسِمي لي
نصيبي منَ المسرَّة .

لا تُحبّيني السبتَ والأحد
وأحبّي سِواي
الاثنَين
والثلاثاء
والأربِعاء

أمّا الجُمعة

مساءَ أمُرُّ بِحَيِّك الضيقِ

ومتاعِبى على ظهرى

. . .

تَمَهَّلى تَمَهَّلى

وأنتِ تُغلقينَ بابَكِ

وابتسِمى لى

هذه المرَّةَ

نصيبى منَ

الحُزن . .

خدُّ النافذة

هاجرَ قلبى
وصارَ حِضنى
مقعداً خَشبيًّا بارداً .

يا جَميلة
انتظِرى ما بعينَيكِ وأنتِ جالِسة
فعلى وقعِ أصابعِ صبرِكِ النافد
يهطِلُ المطرُ مِدراراً
على
خَدِّ
النافِذة . .

فِردوس ظهرك

لو ما كانت أصابعي تعِبة
وفخذايَ باردتَين باردتَين
كالماءِ والحجارة
لَمضيتُ خلفَكِ متسلِّلاً
كلصّ
وأنا أنتشي لذروَتي
بمرأى شتاء
فِردَوسِ ظهرِك ..

الخفيفُ يذهبُ بَعيداً

ليكُن الحُبُّ - قاطِعَ طريقِكِ
ليكُن الحُبُّ
خاطِفَكِ .

بيعى على عَجَلٍ
كلَّ ما لَدَيك
الخفيفُ يذهَبُ بعيدًا - ولا تتعَبُ قدَماه
لكنَّ هنالكَ
أثقالَ
القلب . .

نظرةٌ بَحّار

حُبّي لك
ريحٌ تعبَثُ بشَعرِ شجَرة
عطرٌ على جسدِ غانية
ظِلٌّ على عينَينِ ليستا لأحدٍ
كعينَيكِ .

حبي لك
صفيرُ مركبٍ يُبحِر
نظرةُ بَحّار
زيارةُ نَورَسٍ
لمنارة ..

طرطوس

لا أحدَ يلمَحُ قفزَتكِ

كإحدى تلكَ النجمات
تدخُلين
لا وَقعَ لقدَمَيكِ
ولا ظِلَّ لنظرَتكِ .

كإحدى تلكَ النَجمات
تَجلسين
لا صَدى لأنفاسكَ
ولا دَربَ لِدَمعِكِ .

وكإحدى تلكَ النجمات
تَخرُجين
لا أحدَ يلحَظُ غيابَكِ
لا أحدَ يلمَحُ
قفزتَكِ ..

لا شيء أروع

لا شيءَ أروع
من أن تقولَ وَداعًا
لنَجمٍ يُضيئُكَ
لامرأة تُغنّيها
لِحُلمٍ تُحيطُهُ بساعدِكِ .

دونَ أن تُطيلَ النَظَر
دونَ أن تُغلقَ ابتسامتَكَ
دونَ أن تُخرِجَ إحدى راحتَيكَ
من
جَيبِ معِطفِكِ . .

بيانو أصابعِكِ

كانت أغنامي صُخوراً بيضاء
وأشجاري كانت جُنداً
ما عُدتُ ذاتَ الرجُل
أُثيرُ الضجَّة
وأُلقي المُفرقعات .

افتَحي لي بابَكِ الجانبي
فأنتِ أيَّتُها المزدحمة
الصاخبةُ بكلِّ شيءٍ
لا يعوزُكِ
إلاّ تعبٌ مثلي
ينتحي بكِ حَيًّا هادئًا
ويلعبُ
وهوَ نِصفُ نائم
البيانو

على أصابعكِ ..

خلفَك مَضَيت
على يَميني آثارُ خُطاكِ
وعلى يَساريَ البحر
ولو استدَرت عائدةً
لَرأيت آثارَ أقدامِ عاشقَينِ اثنَين
يسيرانِ سَويةً
على رملِ الشاطِئ .

كانَ هناكَ أنتِ
الّتي رأيتِني
وناديتُكِ فالتفَتِّ إلى
نَورَسٍ
حَطَّ
بالقُربِ منكِ .

وكانَ هناكَ أنا
مَن راحَ يُراقبُ الأمواج
وهىَ تتسَلَّلُ لتمحو
آثار
خُطواتىَ الوحيدة .

وكانَ هناكَ البحر
والشمس
الَّتى سقطَت فى حافَّتهِ القَصيّة
كمَصكوكةٍ ذهَبيةٍ
فى حَصَّالةٍ
بلا قاع ..

جلسَتِ الشمسُ فى حِضنِكِ

ما لن أُبطِلَ سَماعَهُ ليسَ ما أجَبتِنى بهِ
كلماتٌ قليلةٌ غيرُ مُترابِطة
ردَّدت بِها : (لا أستطيع لا أستطيع) أكثرَ من مرَّة
بل صَمتُكِ .

وحينَ قُلتِ مواسيةً إنّى أبدو حزينًا
أ لَم تنتبِهى إلى أنّى أصيرُ
دائمًا
ما تقولين .

دخَلَت الشمسُ منَ النافِذة
وجَلَسَت فى حِضنِك
وكأنَّها
كِتابٌ مفتوح ..

فِنجانٌ كسَرتِ طرَفه

حتّى ما لا حاجةَ لك به
جَمَعته كيفما اتَّفَقَ في حَقيبةٍ جِلديةٍ قديمة
لتَرمي بِها
مع كلِّ ما تحتويهِ
بعيداً .

غادرتِني
وبِحَرصٍ لَم أعرِفهُ فيكَ من قبل
مَحَوتِ كلَّ ما قد تُخَلِّفينَهُ
وراءَك من أثر .
أبقَيتُهُ
ذكرى منكَ
فنجانيَ الَّذي كَسَرتِ
طَرَفَه ..

من (دَعوة خاصَّة للجَميع)

- الأسماء التى لا شيءَ دبقًا وشائكًا معًا بقدرها .

الظلُّ الجاف

إلى هذا وصلَ بكَ الصمت
إلى تلكَ الالتفاتة البعيدة
صَوبَ ظِلٍّ جافٍّ
بلا طَعم
يطلسُ فى عِزِّ الظهيرة
نِصفَ وجهِكَ .

إلى هذا وصلتَ أنتَ بالصَّمت
إلى تلكَ الإغفاءة العميقة
فى عناق جُثَّة الحُلم
حيثُ يُجارى قلبُكَ بإطباقِهِ الأخير
فمَكَ ذا
الابتسامةِ الدَفينة . .

عقربُ دقائقَ وحيد

ما عُدتَ
(مُضطربًا كثيابٍ في غسالة)
ولا ضائعًا مثلَ
(عقربِ دقائقَ وحيد
في ساعة) .

مُنذُ على التحديد
أربَعِ أو سَبعِ أو
عَشرِ سنوات
حينَ لا تدرى ماذا رميتَ
وماذا أضَعتَ
وماذا أُخذَ منكَ عُنوَةً
(فوضعتَ قلبَكَ
في قَطرَميزٍ زُجاجيٍّ نظيف
ورفعتهُ على
الرف) . .

الأسماءُ ذاتُ الرنين

إلامَ تَحوَّلت الأسماءُ ذاتُ الرَنين
الكلماتُ المسطَّرةُ بماءِ الذَهب
الحِكَمُ الجليلةُ الَّتى تُحيطُ
كلَّ شىء ؟

إلامَ صارت هاتيكَ الأساطير
الأسرارُ الغامضةُ المُقدَّسَة
الألغازُ المُستَحيلة ؟

وبقىَ لكَ الشِعر
نهرُكَ الوحيد
حيثُ لا بَهجةَ تنبجسُ من نبعِه
ولا حُزنَ ينبُتُ على ضِفَّتيه
بل مُجرَّدُ
قاعٍ عميق ..

تشرقُ في مقهى وتغربُ في مقهى

فى الفترةِ الصباحية
ما بينَ الساعةَ العاشرةِ والواحدةِ ظُهراً
مَن يُريدُ أن يلَقاكَ
فأنتَ على كُرسيِّكَ المعروف
فى مقهى الرصيفِ الشرقى
تُلقى نظرةً على الموتى
وهُم يعبُرون .

وفى الفترةِ المسائية .. ما بينَ الخامسةِ والتاسعة
مَن يُريدُ أن يلقاكَ
فأنتَ مُمدَّدٌ لا تُبالى بشىء
على كُرسيِّكَ المعروف
فى مقهى الرصيفِ الغربى
يُلقى عليكَ نظرةً
الأحياءُ وهُم يعبُرون ..

الدائرةُ الحمراءُ منَ الدَّريئة

لا تغضَبى
تعلمينَ أنّى لَم أتقصَّد الإِساءة
إنَّهُ طبعىَ الَّذى تعرِفينَهُ عن تَجربة
أقولُ ما لَدَىَّ جُزافًا
دونَما تفكير .

لا تغضبى
تعلمين أنّى ما كُنتُ لآتيكِ
بِهذا القوسِ المشدود
وأُطلِق عليك مِلءَ جُعبتى منَ السهام
لو لَم ألمح فى وسَطِ دريئتكِ
رُوحى
مِثلَ دائرةٍ حمراء ..

أ لستَ مَن دلَّنى على هذا النَّبع
وأخذَنى بيده إلى هذه الواحة
أ لستَ مَن علَّمَنى كيفَ أعقدُ الحبال
وكيفَ أقفزُ على ظُهورِ الأحصنة
وهىَ تعدو .

أ لستَ مَن أعطانى قَوسًا وسِهامًا
ثُمَّ وقَفَ لى فى أوَّلِ الدَّرب
وصاح : ها قد جاءَ دورُكَ
فقد اشتدَّ ساعِدُكَ الآن .

وأ لستَ أنتَ مَن خابَ فألُهُ
عندما أعطيتُكَ ظهرى كاملاً
راجعًا من حيثُ أتَيتُ

وقد رمَيتُ القوسَ أرضًا
عندَ قدمَيكَ ..

أتظاهرُ بأنّي أصغى

سوفَ أتظاهرُ بأنّى أُصغى إلِيكَ
حتّى تَفرُغَ من قولِ
كلِّ ما أسمعتَنى إِيّاه
للمرَّةِ الأُولى
بعدَ المرَّةِ الَّتى لا تُحصى
بعدَ الألف .

وحينَ تصرَخُ بى مُتَسائلاً
إِن كُنتَ بعدَ كلِّ هذا تُعَدُّ
عاقلاً أم مجنونًا
سوفَ أهُزُّ رأسى
دونَ أن أُجيب
. . .
مُتظاهرًا بأنّى لَم أفهم

نَبرةَ السُّؤال ..

جُمجُمة بشرية مُغبَرَّة

(يوسف عبدلكي)

فوقَ رُفوف شُعبة النَّحت
فى مركزِ الفُنونِ التشكيلية
آلهةٌ مُقطَّعةُ الأوصال
وخَياشيمُ من جِبس
وآذانٌ صمّاء .

فوقَ الرَّفِّ الأخير
بينَ رُكامِ نَماذجِ النحت المُحطَّمة
تطلُّ برأسِها جُمجُمةٌ بشريةٌ مُغبَرَّة
يأنَفُ الجَميعُ أن يُبالوا بِها .

حملتُها بيدَىَّ المُرتعشتين
ووضعتُها فوقَ منشفةٍ بيضاء
أمامى على المِنضدة

وها هيَ مُنذُ ساعتين
تَحدُجُني بنظرةٍ جوفاء
ليسَ لها قرار ..

التُّحفُ الرخيصةُ ما زالت على الرَّفّ
الغُبارُ نائم
الكنباتُ الثَلاثُ تجلسُ صامتة
المِرآةُ على الحائطِ تنظُر .

قلمٌ وأوراقٌ
وكِتابٌ يتدلّى نِصفُهُ
مِن حافَّةِ الطاوِلة .

كلُّ شّيءٍ في مكانِهِ
لا شيءَ تبدَّل
كتفاصيلِ صورةٍ شاحبةٍ التُقطَت مُنذُ زمن
لكِنَّ قلقًا تجمَّعتِ الأدَلَّةُ ضِدَّه
يَمشي فوقَ بَلاطِ الغُرفةِ

ذَهابًا وإِيابًا
حافِيَ القدمين ..

سُقراط فى الحُجرةِ المُجاورة

كُنّا ثلاثةً تلكَ الليلة
وقد احتدمَ الجِدالُ بيننا
وراحت أصواتُنا
تنطَحُ السَّقفَ وترفُسُ الجُدران .

كُنّا ثلاثةً
وهذا يعنى أنّى لَم أكُن أحلُم
وأنَّهُ ليسَ مِن بناتِ الخيال
عندما سمعنا خلالَ صمتٍ قصيرٍ
كُنا نلتقطُ به الأنفاس
نَقراً خفيفاً على الباب
وفتى بَهىّ الطَّلعةِ يرتدى جُلباباً أبيضَ
يدخُلُ علينا ويقول :
(رَجاءً لو تَخفِضوا أصواتكُم

سُقراط
فى الحُجرةِ المُجاوِرة) ..

لا مغبَّةَ ليدٍ في هذا الصَّقيع
أن تُؤثرَ البقاءَ مُتكوِّرةً في الجيب
ولا حَرَجَ على الأصدقاء
أن يكتفوا حينَ يلتقون
بالهمهماتِ وهزِّ الرأس .

إلا حينَ ينشَقُّ الطَّريق
عن صديقٍ هوَ أنتَ
ينتصبُ أمامَكَ فجأةً
ويعترِضُكَ
عندئذٍ لا مفرَّ أن ينْزِعَ المرءُ
كلتا يدَيهِ من وَكرَيهِما
ويدفعَهُما إليكَ
فيَدُكَ الممدودةُ العارية

تزيدُ دفئًا
عن قلبِ المعطف ..

قبلَ أن ألقاكَ
شاهدتُ طفلاً يَحمِلُ قَفَصًا
وفى داخلِ القَفص
بدلَ العُصفور
سِكينٌ .

كتبَ عنكَ عادل محمود قصيدة
لا أذكرُ منها
سِوى أنَّ وجهَكَ فى الزِّنزانة
صار خاليًا من حَبِّ الشباب .
سجّانو الوَداعة
إذا أعادوا لكَ الشَّوارعَ
مَن الَّذى يُعيدُ لكَ
المواعيد ؟..

كِلسٌ أبيضُ مُذابٌ بالماءِ

عليكَ بالبياض
تطلى به جُحرَكَ
جُدرانَهُ الكالحة
وسقفَهُ الدُّخانى
سيتَّسِع
هذه أدنى ثمارِه
ويبدو بَهيًّا وضاحكًا
واليدُ الَّتى يَمُدُّها النّور
من كوَّته الضيِّقة
ستجدُ ما تشُدُّ عليه .
خُذْ طلاءً أبيضَ
واطلس به بابَكَ المُنخفض
وما يَزيدُ شبراً منَ الحائط حولَه
كثيرونَ سوفَ يتمهلونَ أمامَه

ومَن ليسَ بينَكَ وبينَهُم
حتّى التَّحيَّة
سينحَنونَ ويطرُقونَه .

خُذْ كلسًا أبيضَ
وأذبهُ فى طستٍ منَ الماء
ثُمَّ اغمُس به حذاءَكَ
وحيثُما مضَيتَ
وأينَما تلفَّتَ
وكيفَما ضُعتَ
سوفَ تصلُ بكَ الدُّروب
إلى نهاياتها
حيثُ تنتظرُكَ آفاقٌ تتلاشى بِها
فيُقال : (رَجُلٌ بقدمَينِ
كُل منهُما تنتعِلُ سَحابة)

لو لَم أُخطئ يومًا وأصعد إليه
أسألُ عن عُنوانِ صديقٍ عادَ منَ السَّفَر
لَما كانَ لىَ أن ألحظَ
لوحتَهُ الصغيرةَ الكاحتة
والسَّهمَ المُشيرَ بعيدًا عنه .

إنَّهُ ليسَ فُندُقًا
من أىِّ نوعٍ آلَت إليهِ الفنادِق
وفى الأصلِ لَم يكُن
وما زالَ بيتًا قديمًا بالقُربِ من
مَرفأ الصَّيد المُندثر
تصعَدُ إليه على دَرَجٍ خشبىٍّ مكشوف
ليُرحبَ بكَ أصيصانِ حجريان
منَ الفِتنة والقرطاسيا
على جانبَى بابِهِ المُغلق .

اُنظُر
هذه غُرَفُهُ الخَمسُ الكبيرة
بِجُدرانِها المُتشقِّقة
وسُقوفِها العاليةِ الَّتى تَهُمُّ
بالسقُّوط
الفارغةُ أبدًا إلاّ من
أسِرَّةٍ هامدة تَحتَ أغطيةِ الغُبار
وكراسىَ قَشٍّ عرجاء
وخِزانات مُتداعيةٍ
حُشِرت جَوانبُها فى الزوايا
كى لا تقع
تُعيدُ لنا مَراياها الصدئة
نظراتِنا الذاهلة .

لا . . . لا أظُنُّ فى مدينتى
فُندُقًا آخرَ أُوصيكَ به
هوَ مَن عاندَ كلَّ هذا الزَّمن
وتَحمَّلَ كلَّ هذا البقاء
لأجلِ لا أحد . .

من (داكِن)

ـ حَتَّى إِنَّكَ لَستَ لَونًا ، بَل فَقَط .. نَعتٌ لِلَون .

يا لَهُ من شتاءٍ كَئيب
أَشجارُ الحور تَعَرَّت
فى البَرد
والجبالُ من بَعيد
تَدَثَّرَت بِمَعاطِفِ الثَّلج .

يالَهُ من شتاءٍ كَئيب
أَقضى النَّهارَ بِأَكمَلِه
مستلقيًا على سريرى الضيق
لا أفعَلُ شَيئًا سوى
أُديرُ رَأسى صَوبَ النَّافِذَة
كُلَّما سَمعتُ
اصطفاقَ جَناحَى
غُراب . .

وكَأَنَّما ولدتُ
وأَنا أَعلَمُ كُلَّ ما كُتُبِ عَلَيّ
لَم أُدهَش
ولَم أَحسُد أَحَداً .

سوى غِربانٍ سَوداء
حَطَّت مِراراً
عَلى مَرمى حَجَرٍ مِنى
وكلابٍ
تَنبَحُ وَتَركُضُ
بلا أَطواق ..

غِربانٌ تفرُدُ وتطوى أجنِحَتها

الغربانُ السَّوداءُ عَلمَت
بأَنَّ الكُوَّةَ الَّتى يُقذَفُ منها
فُتاتُ الخبز
وَبَقايا الطَّعام
يَقبَعُ فى عَتمَتها
عَينان بَشَريَّتان
تَرقُبانِ مَجيئَها ورَواحَها .

الغربانُ الماكرَة
تَختالُ بِمشيَتِها العَرجاء
فوقَ الثَّلج
تَفردُ وتَطوى أَجنحتَها
مُباهيَةً
بِبَريقِ سَوادِها ..

بقدمَين عَمياوَين

تسألُنى
كيفَ أتيتُ
كيفَ عرَفتُ طريقى .

تسألُنى
كيفَ أرشدَتنى سَحابة
كيفَ اتَّبعتُ خُطى ظِلال .

أجيبُ :
آثارُ مخالبَ وأظلاف
نقاطُ دمٍ تَخَثَّرت على الحجارة
أوصالُ أطفالٍ قُطِّعَت وأُلقيَت
عندَ المفارق
خلفَ هذا مضيتُ
بقدمين عَمياوَين . .

لا تفعَلْ مثلى
إن رغِبتَ أن تكونَ فى حَضرتهِ
إن رغِبتَ أن تمثُلَ بين يدَيه
لا تفعلْ مثلى
إن جئتِ تطلُبُ منهُ رَحمة .

لا تذهبْ إلى حيثُ تَحسَبُ أنَّهُ
فى المَقبرة
مُستلقيًا فوقَ وسائدَ من الحجارة
و أمامَهُ طبقٌ عارمٌ منَ الجماجمِ والعِظام
ينتظرُكَ .
لا بلْ هو فى كلِّ صوبٍ سِواها
حريصٌ أن يُنجزَ تمامَ عملهِ
قبلَ أن يزحَفَ على أديمِها
فحيحُ قدميه . .

الشّعرُ هوَ ما أقومُ به لأحيا

عَملى هوَ ما أقومُ به
لآكلَ وأشربَ
أمّا الشعرُ فهوَ ما أقومُ به
لأَحيا .

وأرجو ألاّ يغيظكَ
تعصُّبى هذا ونُكرانى
فلستُ سوى طفلٍ ضائعٍ يَبكى
حينَ ينزَعُ الشعرُ كُمَّ قميصهِ من قَبضَتى
ويخرجُ لقضاءِ إحدى حاجاتهِ .

ولكننى كما تقولُ
أملكُ عن الشعرِ مَفهومًا مُشوشًا أشعَثَ
وهذهِ حقيقةٌ أَعترِفُ بِها
ولا أدرى ماذا يدفعُنى

للفخرِ
بكونيَ ذلكَ ..

تبًّا لي باتَ لي أسلوب

تبًّا لي
بتّ أعرِفُ دربي
كَيفَ أسوقُ أفكاري
كيفَ أركبُ تعابيري .

تبًّا لي
باتَ لي مَشتَلٌ لخيالي
وصُنبورٌ لمشاعري
وقالَبٌ أصُبُّ فيهِ قصائدي .

تبًّا لي
. . .
باتَ لي أسلوب . .

أكثرتَ منَ السَواد .. يقولونَ لي

أكثرتَ من السواد
يقولونَ لى
أكثرتَ من الغِربان
أكثرتَ من
العَناكب .

يقولونَ لى
دعْ عنكَ هذا الليل
لا تُغلقْ جميعَ النوافذ
افسحْ دربًا للنور
لا تُسدِلْ كلَّ هذهِ الستائر
...
لديكَ قميصٌ من الأزهار
يا اللَّه
كم كُنتَ تبدو به رائعًا

لِمَ لا تعودُ لارتدائه
وحُزمةٌ لم تُمَس من الأصابعِ الملونة
لمَ لا تكتبُ بها شيئًا زاهيًا
كلُّ لونٍ كلمة
كما كُنتَ تفعلُ سابقًا .

يقولونَ لي
لا تجعلْ هذهِ القصيدةَ
أيضًا
كالحة . .

القَدَرُ الذى لم أؤمنُ بهِ قط

القدَرُ الذى لم أؤمنْ بهِ قَط
هوَ من أشارَ إليّ
بسبّابته الحديدية
أَن أُعيدَ تَركيبَ الذَّيلِ الصحيح
لهذه الكلماتِ اليائسة
(إمّا أن أموت
وإمّا أن أكتُبَ هذهِ القصيدة)

ولأنَّ أحداً لا يأخذُ الشعرَ
على حقيقتهِ
كجنس
تكونُ تَقدمَتى
ديكًا ينتهى بذَنَبِ ثُعبان
وأسداً له منقارُ نَسر
وثَوراً بجَناحَى مَلاك

ذلكَ أنَّ خِيارىَ الوحيد
هو أن تكونَ كلماتى
عزاءَ أولئكَ الحمقى
الذين خَسِروا كلَّ شىء
وهم يعانِدونَ لأجل
هذا الهباءِ ذاتِه :
...
(إمّا أن أحيا
وأكتُبَ هذهِ القصيدة
وإمّا
أن أكتُبَ هذهِ القصيدة
وأموت) ..

فى الدقيقةِ (س) عندَ النقطةِ (ع)

تصفَرُّ الأيامُ
وتيبَس
وتبقى عالِقةً فى التَّقويم .

حتّى يأتىَ يومٌ بمُناسبةٍ أو بدونِ مُناسبة
فتمزِّق بلحظةٍ واحدة
صيفًا طويلاً
أو ربيعًا خاطفًا على الأقلّ .

أعرِفُ الآن لماذا تُسمّى بالعربية
عقاربَ
السواعدُ الثلاثةُ
لساعة الحائط .
والزَّمنُ الذى لا يُحرِّكُ ساكنًا
يَزيدُ عن كلِّ ذلكَ

سُرعةً
أنتَ يا مَن وجدتَ الفُرصةَ سانِحةً
لقراءة هذه القصيدة
يومًا ستجدُ نفسَكَ
مُستلقيًا على ظهرِكَ
تقومُ بطقوسِ
الوداع الأخير .

لستُ ممَّن يجلِسونَ وينتظِرون
بفارِغِ الصَّبر
يومًا كهذا
ولستُ ممَّن يرمونَ ما بأيديهِم
على عَجَلٍ
ويَخرُجونَ لمُلاقاتهِ
غيرَ أنّى أعلَمُ
لَو قضيتُ حياتى
وأنا أركضُ بسُرعتىَ القُصوى
فى الاتجاه (ب)
وانطلقَ هوَ مُنذُ لحظةِ ولادتى
فى الاتِّجاه المُعاكس
أنَّهُ . . . فى الدقيقةِ (س)

عندَ النقطةِ (ع)
سنلتقى .

استعداداً لهذا اللقاء
عليكَ أن ترتدى أفضلَ ثيابكِ
رَغمَ أنَّهُ يُفضِّلُكُ عاريًا
وعليكَ أن تضعَ على لسانكَ
أفضلَ كلماتكَ
رَغمَ أنهُ يُفضِّلُ ألاّ تنبسَ بحرفٍ
الأمرُ الذى يُروِّعُكَ أنَّكَ
تنساهُ أحيانًا
وحينًا يُروِّعُكَ أنَّكَ تذكُرُه
وغالبًا لا تُبالى به
وفى حسابكَ أنَّهُ ما زالَ هُناكَ
مُتَّسعٌ من الوقت
كى تعدَّ لكلِّ شيءٍ عُدَّتَه
أو أنَّكَ قد بذَلتَ قُصارى جُهدكَ
فى ما لا طائلَ منهُ أصلاً
على أن يُساعدَكَ الشِّعر
بغُموضه
أن تُدرِكَ معنى

شيئًا قلتَهُ دونَ تفكير
قُلتَهُ دونَ أن تنتبهَ لما تقولُه :
(الحياةُ أمُّ الموت
والموتُ
أبو الحياة) ..

ما زلتُ أمتلكُ القدرةَ على الظلم

ما زِلتُ أمتلِكُ القدرَة
على الظُّلم
وإِعطاءِ كلِّ ذى حقٍّ حقه
فإِن صِحتُ مُندهِشاً
آه... انظُروا
مَن يستطيعُ أن يبيِّنَ الفَرقَ
بين ظِلِّ النبتَةِ اليابسة
وظِلِّ النبتَةِ الخَضراء
فأنا أعرِفُ أيًّا منهُما
أُروى
وأيًّا منهُما
أقلَعُ .

كَلاّ..
لم تتساوَ كافَّةُ المكاييل

فى ميزانى بعد
وحينَ يُخالُ لى فى الصباح
عندَ ذَهابىَ إلى عملى
أو فى العَصر
عندَ عَودتى للبيت
بأنّ الجُرذانَ التى تقفزُ أمامىَ
على الرَصيفِ التُرابى
عصافيرُ دورى
فإن عصافيرَ الدورى
التى تقفِزُ أمامى
على الرصيفِ التُّرابى
فى الصباح
عندَ ذهابىَ كلَّ يومٍ إلى عملى
أو فى العَصر
عندَ عَودتىَ المُحتَّمةِ للبيت
أبداً لا توحى لى
بأنَّها جُرذان .
كلا . . .
ما زِلتُ أرفُضُ العُروضَ السخيةَ
التى تُقدِّمُها لى
النوافِذُ المفتوحة

وخاصَّةً نوافِذَ الطوابِقِ العليا
حتّى وإِن سمعتَنى
أصرخُ
وأنا أُمسِكُ بإِحدى دَفَّتَيها
مانعًا نفسىَ من القفز :
...
(أشجارُ السروِ اليابسة
ليست سِوى
أشجارٍ
من لونٍ آخر) ..

ما كُنتُ أُسمّيهِ يأساً

ما كُنتُ أُسمّيهِ ضَياعًا
أُسميه
الآن مَنزلاً
ما كُنتُ أُسميه يأسًا
أُسميهِ الآنَ شِعرًا .

الدروبُ التي تَمضي لا أعرفُ إلى أين
الدروبُ التي تَمضي أعرِفُ إلى أين
ولا أُريدُ أن أذهب
الدروبُ التي تمضي إلى دُروب
الدروبُ إلى تمضي إلى جُدران
الدروبُ التي لا تبارِحُ أماكنَها .

لأنَّ هُناكَ دُروبًا
كان عليَّ بِها أن أمضيَ

دونَ أن ألتفت
دونَ أن أُنادى
لا يُهِمُّنى ماذا أقول
لا يُهِمُّنى ماذا أفعل
إلى حيثُ يجِبُ أن أصل
ولأنَّ هُناكَ دروبًا
ما همَّنى يومًا إلى أينَ تمضى
ما همَّنى يومًا إلى أينَ تصل
الدروبُ التى كان علىَّ بِها
أن لا أقِف ..

من (بولونيزات وتجاربُ أُخرى ناقِصة)

- إِنَّهُ يعتبِرُ صريرَ الأبوابِ موسيقى، وضجة الشارعِ فى الصَّباحِ والظُّهرِ والعشاء، سوناتا كاملةً بثلاثِ حركات.. فمت بالُكَ بما يعتبِرُهُ شِعراً..

لا خَبطَةُ الباب مَرَّتينِ – كَى يُغلَق
ولا فَرقَعَةُ الضَّحكات
الَّتى لا يُمكِن الإِمساكُ بِها
ولا صَريرُ السَّرير
ولا حتّى الحَشرَجات
بَل الضَّوءُ
ضَجَّةُ الضَّوء
هىَ ما أَيقَظَ آندى .

– (مَن هَذا الرَّجُلُ الغَريبُ يا أُمِّى !)
(إِنَّهُ لَيسَ غَريبًا يا آندى
إِنَّهُ عمُّكَ الَّذى حَدَّثتُكَ عَنهُ
قُلْ لَهُ هالو يا آندى)–
(هالو يا عَمّ
ولَكِن مُنذُ مَتى يا ماما

تَنامينَ مَعَ الأعمام ؟) . .

وارسو – بولندا

بَعدَ أَن استَيقَظَ آندى

وَرَآنى
لَم يَكُن هُناكَ شَىءٌ فى العالَم
تَقولُهُ أَو تَفعَلُه
يَستَطيعُ أَن يُعيدَهُ إِلى النَّوم
أو يوقِفَهُ عَنِ الصَّراخ
حينَ تُطفِئُ تريزكا
الضَّوء .

لا ساعَةُ اليَدِ الفُوسفوريَّة
ولا النُّقود
ولا القُبُلات
ولا الأكاذيب
استَطاعَت أَن تُسبِلَ
النَّظَراتِ الموجِعَة

الَّتي راحَ آندي يَرميني بِها
وَهوَ يَشهَقُ
بِكامِلِ جَسَدِه .

وَحينَ غادَرَت تيريزكا الفِراش
لِتُحضِرَ لَهُ مِنَ المَطبَخِ
كوبًا ساخنًا من الحليب
هبَّ فَجأَةً عن سريره
وراحَ يَجمَعُ بِيدَيهِ الصَّغيرتَين
قِطَعَ النُّقود المَعدنية
التي رميتُها له
وَهوَ يَنظُرِ إِليَّ
مُبتَسِمًا . .

وارسو – بولندا

سُجُقٌ مع البيض على الفطور

لَم أنَمْ جَيِّدًا
واستَيقَظتُ فى اللَّيل
مرّاتٍ كثيرَةً
آخِرُها فى الخامسةِ فَجرًا
كما لَو أنَّنى
مُزمِعٌ على سَفَر .

قَليتُ سُجُقًا معَ البَيض
وازدرَدتُ فطورى
وأَنا أَهِزُّ رَأسى

أَستَطيعُ أَن أَجِدَ حُلولاً لكُلِّ مَشاكِلى
ولَو سَيِّئة .
مُنذُ أُسبوعَين لَم تَصلنى
رِسالةٌ مِن أَحَد

اليوم
دَفعةً واحدة
وصلني رِسالَةٌ مِن ماهِر ورِسالَةٌ مِن ثَناء
وأُخرى من مَرام
ورِسالتان مِن مُصطَفى
خَمسُ رسائلَ تَختَلِفُ عَن بَعضِها
في كُلِّ شَيء
كَاختلاف أَصحابِها
في كُلِّ شَيء
لَكنَّها تَشتَرِكُ معًا بشَيءٍ واحِد
جَميعُهُم مُحبَطون ..

وارسو – بولندا

دَرسٌ مُختصَرٌ في السَّعادة

قُلتُ لآنا :

(كيفَ يمكنُ لأحَدٍ منّا أن يكونَ سعيداً

والآخرونَ

يَرتَعونَ في شَقائهم !)

لَم أقُلْ هذا بلهجةِ المُتَسائل

ولم أكُنْ أَنتَظِرُ مِنها جوابًا

...

فاجَأتني حينَ سمِعتُها تُتَمتِمُ :

(السعادةُ

دائمًا

هكذا) ..

وارسو – بولندا

تفاحاتُ شهوتِكَ الصارمة

(تفاحاتٌ وطبيعة صامتة) بول سيزان/ زيت.

أختارُ التفّاحات
بأيَّة طريقةٍ وضعتَها
مُستَّفةً ما أمكنَ
في طَستِ البورسلين
أمْ مُلقاةً
على غِطاءِ الطاولة
دونَما اعتبار .

أختارُ التفّاحات
كيفما اتَّفقَ وكانت
ذهبيةً
تختلطُ بالبَصلِ والإجاص
أم حمراءَ بجانبِ السِّكين
يتقاسَمُها

البريقُ
والظلام .

أختارُ التفّاحات
ثخينة القِشرة
كاملة الاستدارة
المُستحيلةَ على الفساد
ثمار
نُضحِكَ البَطيء
وشَهوتِكَ الصارمة . .

(طبيعة ليلية) إدوارد مونش.

كيفَ لأُصبَعٍ أن يَمُرَّ هنا
على حد لا يُرى
بينَ الأشجارِ وظلالِها .

حيثُ تعبرُ
الآنَ
امرأةٌ
تحمل جَردلاً من الضَّوء
إلى جزيرةٍ من العَتمَة
تبدو وهي تنظُرُ إلى وجهِها
على صَفحة البُحيرة
كشَفتينِ مُطبقَتين
لفَمٍ أسود ..

ثلاثة أرباع وجهٍ بأذنٍ مُضمَّدة

(صورةٌ شخصية بأذنٍ مُضمَّدة)
فينسنت فان كوخ ١٨٩٠

بِخُطوطٍ سوداءَ مواسية
فلاحونَ
ألقوا بأجسامِهم على ظِلالِ
كوماتِ التِبن .

عائلةٌ من رجلينِ وامرأتينِ وطِفل
يأكلونَ البطاطا المسلوقة
بوجوهٍ كالحة
وكأنَّهُم خرجوا لتوِّهِم
من مَنجمِ الفحم .

حذاءٌ بالٍ
كأنَّهُ صديقٌ قديم
وكُرسيُّ القَشِّ يجلِسُ عليه

بجانبِ حُفنةٍ من التبغ
غليونُكَ الرخيص
شريكُكُ الوحيدُ الباقى
فى الغُرفة .

ثم ليلةٌ مكتظَّةٌ سماؤها بالنُّجوم
ووجوهٌ مُقرَّبة
لأخواتكَ أزهارِ عبّادِ الشمس
وأشجارٌ زيتونٍ بألوانِها المُتدرِّجةِ
منَ الأخضرِ إلى الرمادى
وأخيراً
ثلاثةُ أرباعِ وجه
بضمّادة فوقَ الأُذن
وحقلُ سنابلَ ذهبى
يُحوِّمُ فوقَهُ على ارتفاعٍ مُنخفض
سربُ غِربان . .

صباحُ الخير مِسيو كوربيه

(صباحُ الخير مِسيو كوربيه)

غوستاف كوربيه/ زيت ١٨٥٤/ متحفُ فابر/ مونبلييه.

خَشيةَ أن تَحسَبَ أنَّه جاء
سَيراً على الأقدام
فإنَّ السيِّدَ ذا اللحية المُدبَّبة
لَم يدَعْ عربةَ الرُّكّابِ التي أقلَّتهُ
إلى هذا المكان
تَمضي بجيادِها الأربعةِ
خارجَ حدودِ المنظر .

أبطأت حتّى كادت تقِفُ
وقد همدَ الغبارُ من ورائها
عندَ النقطة الأخيرة
التي تُبقيها أبداً
ماثلةً أمامَ أنظارِنا .

تَألَّفَ الجمهورُ الذى قامَ طَوعًا
بهذا الاستقبالِ المُهيب
مِن ثلاثة أصحاب
اختلفَت أجناسُهُم وتَفاوَتت مراتِبهُم
السيِّدُ صاحبُ النزل
بسُترته الزيتيةِ الوقورة
وعَصاهُ القصيرةُ ذات العُقَد
التى أمسكت بمقبضِها
أصابعُ يدهِ اليُمنى العارية
حيثُ يومِضُ الحجرُ الكريمُ لخَاتمِ السبّابة
يستظلُّ به كلبُهُ الذى أهدلَ ذيلَهُ
مُبديًا ما باستطاعتهِ
من صَلافةٍ وقلَّة اكتراث
ثالثُهُما هوَ الخادمُ
أو ربَّما الحُوذىُّ
أو هو الخادمُ والحوذىُّ معًا
وقد أطرقَ برأسه الصغير
بضَعةٍ زائدة لا تَتَطلَّبُها المُناسبةُ
ولا تَليقُ بسالفهِ العريض .

صباحُ الخير

مسيو كوربييه
ونُزعتْ القُبَّعاتُ عن رءوسِها
تحيةً للقادمِ الذى وقَفَ
وعلى ظهرِه حقيبةُ عدَّته
مباعدًا ما بين قَدميه
فاحصًا بعينه الخبيرة
التفاصيلَ الدَقيقةَ
الظاهرةَ منها والخفيةَ
التى سَبَرَها ببصيرتِه .

يا لهُ من احتفالٍ بسيط
سُرَّ له كوربيه وأثارَ فى نفسه
منَ المشاعرِ ما يكفى
لأن يَقلبَ برنامجَ الضيافة
رأسًا على عَقب
ويدعو الجميعَ لقبولِ استضافتهِ
الدائمة
داخلَ أروقةِ المُتحَف ..

دعوهُ يغمِضُ عينيهِ دعوهُ يلثِمُه

(أغنيةُ في الحديقة) مشهدٌ من فيلمٍ هندي .

هذه أُغنيتُها
بصوتٍ لا يخرُجُ منها
بلْ منَ الحديقةِ التي ينصبُها حضورُها
لذا حينَ قفزَ عن البوابةِ المُغلقة
وتسلَّلَ بُغيةَ مفاجأتِها
لم يجدها قُربَ الصومعةِ كعادتِها .

كانت ترقُبُهُ ببياضِ عينَيها
وراءَ الأكمةِ التي لا توارِبُ شيئًا
من سُطوعِ ذَيلِ طاووسِها .
دَعوهُ حينَ يقفلُ راجعًا
أن يَنحني
ليرفَعَ عنِ التُّرابِ طَرَفَ ثوبِها

دَعوهُ يُغمضُ عينَيهِ
دَعوه يلثِمَهُ ..

(سيدة مفجوعة) مدرسة كانجراء ١٨١٠،
متحف فيكتوريا وألبرت، لندن.

فى أروقةِ الفجر
بشهوةِ جسدِها
ودثارِها الفاضح
تركُضُ لاهثةً
خلفَ آخرِ ذيولِ الليل
تُريدَ أن
تَدوسَهُ بقدمِها.

صرخةٌ أيقظَتها
فرأت قفصَها خاويًا
وبينَ فكَّى ثُعبانِها
يتدلى
طائرُ روحِها ..

حلمى أن أحلم بها

(رحلة صيد) أسلوب باشولى، ١٧٣٠،
مجموعة و، ج. أرشيرا، لندن .

حلمى
أن أحلم بها
فى ليلة صيف كهذه
وكلبها الذهبى
يلهو بعيداً مع السلاحف
متخذة على راحتى
وضعية الرامى جاثياً
وقد سندت على كتفها
بندقية صيد فارغة.
لا بغية لها سوى أن
نسدد عليها نظراتنا
وهى تسدد على الكراكى

فوهة بندقيتها.

الكراكى البلهاء
مدَّت رقابَها
وأشعلت أعرافها
واصطفت على ذوائب الأشجار
بلا حراك
خشية ألاّ تصيبها
طلقاتها..

أنتَ الأرقامُ وأنا النسر

(إلى مصطفى عنتابلى)

أنتَ
عرِفتُكَ من وَقعِ خُطاك
الذى يُشبِهُ وَقعَ خُطى
امرأة مسرعة
إلاّ أنَّ امرأةً مسرعةً عبَرَت
دونَ أن تنظُرَ إلىّ
بعدَها بلحظةٍ
فوجئت بكَ
تقِفُ أمامى .

أتَظنُّها مُصادفة
نَعم .. فكِلانا يؤمنُ بالمُصادفات
وكِلانا يؤمنُ أيضا

أنَّها حينَ تقعُ على رءوسِنا
من مَكانٍ عالٍ
وتفُجُّها
فإن ذلكَ يَجبُ أن يعنى
شيئًا
وهكذا فإنَّ اسمَكَ :
(مُصطفى)
لأنَّ اللَّهَ اصطفاكَ

***

إن لَم يكُن لأجلى
فلا أدرى لِمَ
واسمى : (مُنذر)
لأن الله أرسلنى لأُنذر

***

إن لَم يكُن أنت
لا أدرى من .

فى الاحتفالات
أنا الأشدُّ ضجراً
وأنتَ الأشدُّ رَغبةً بالخروج
فى المآتم

أنتَ الأكثرُ حُزنًا
وأنا الأكثرُ بُكاء
في السوقِ
أنا مَن يَقيسُ ويُبدِّلُ
ويُفاصِلُ بالأسعار
وأنتَ من يشتري .

أنا وأنت
اسمانِ لنبيٍّ واحد
أنتَ مَن يؤلِّفُ الكتابَ ويُحضِّرُ العدَّةَ للمُعجزات
وأنا مَن يُكثرُ الزَوجاتِ ويُدلي بالأحاديث
أو كما يقالُ بلُغةِ العصر
أنا وأنتَ
وجهانِ لعُملةٍ واحدة
أنتَ الأرقامُ التي تُحدِّدُ القيمة
وأنا النسرُ
الفارشُ جَناحيه . .

أجابَني الصَّدى اسماً آخَر

بَقيتُ
لأَنَّك طَلَبت منِّى
لَيسَ بِصَوتِكِ الواهِنِ
فَقَط
بَل بنَظرَتِكِ المُنحنية
أَن أَبقى .

ثَلاثُ أَصابِعَ على فَمِكَ
ونافذَةٌ مملوءةٌ بالفَراغِ
فى عُيونِنا
هَذا ما كانَ بَيننا .
سُرعانَ ما أَحَسَّ كُلٌّ منّا بِبَلاهَتِه
فَتَبادَلنا ابتسامَةً مُقتَضَبَة
وَعُدنا لِتَفَقُّدِ ما تَطالُهُ أَيدينا

الأَقلامَ الجَافَّةَ الَّتى لا تَكتُب
الخَواطرَ الَّتى تَضيع
الأَحاسيسَ الحائرَة
بَينَ مَزهرية الأَعشاب البَريَّة اليابسَة
الَّتى على هَيئَة قَبضَة يَد
وَمنفَضَة السَّجَائرِ البَيضاء
الَّتى علَى هَيئَة
راحَة كَفّ .

عندَما فَهمت خلافَ ما كُنتُ أُقولُه
ووافَقت عَلَيه
ثُمَّ أَعدتُهُ عليك
وأَفهمَتُك ما أَعنيه على الوَجه الصَّحيح
وَوافَقت عليه أَيضًا
كَأن أُخبرَك
وَقَفتُ علَى حافَّة وادٍ
وَصحتُ اسمًا
فأَجابَنى الصَّدى
اسمًا آخرَ . .

الخاطِرُ الَّذى بُحتُ لكِ بِهِ

سَوفَ تَذكُرين
كُلَّما أَطفَأتُ الأَضواء
وأَغلَقتُ البَابَ بالمِفتاح
أَعودُ وأبحَثُ عنِ المِفتاح
في كُلِّ جُيوبي
لأَفَتَحَ البابَ
وأُضُيءَ النُّور
وآخُذَ الشَّيءَ الَّذي كُنتُ
حَريصًا على أن لا أَنساه
وَنسيتُه .
سَوفَ تَذكُرين
أيَّ أَحمَقَ أنا
عِندَما في وسَطِ الدُّموع

كُنتُ دائمًا
أَعرضُ ابتسامَتى
لذَلكَ الخَاطرِ الذى بُحتُ لَك به :
(إِنَّ الرَّب جَبَلَ الإِنسان
من طينَة الرَّماد والدُّموع)
(دُموعُ مَن ؟)
سَأَلتنى .

تَذَكَّرى
أنَّهُ حتَّى فى غيابى
سَوفَ لَن يَمنَعَنى أىُّ شَىء
بَل سَوفَ يساعِدُنى
كُلُّ شَىء
أن أَتَدَبَّرَ
على ذَلكَ النَّحوِ الغامِض
بَهجَتى
أن أَكونَ
فى
ذاكِرَتِك ..

إذا كانَ مُحتَّمًا علَىَّ أن أعبُدَ إلَهًا

(إلى فاطِمة روشَن)

إن كانَ مُحَتَّماً عَلَيَّ أن أختارَ إلَهًا
لأَعبُدَ وأخدُم
فإلَه جَدَّتي
مَن كانَت تُرسِلُهُ مَعي أَينَما ذهَبت
وَتُكَلِّفُهُ بحراستي أَينَما كُنت
وتطلبُ منهُ أن يُرسلَ لي
أناسًا أحنَّ منها عليّ
هُوَ إلَهي .

كانَ لي أن عَبَدتُ النَّارَ يَومًا
وَكانَ لي أن عَبَدتُ صَنَمًا
وَيومًا عَبَدتُ زَعيمًا
وَيوماً عَبَدت امرَأَةً

وَيومًا لَم أَعبُد
أحَدًا
ثُمَّ لَم أَجد بُدًّا من أن أَحنى رَأسى
عَندَما قالتَ جَدَّتى :
(خَيرٌ لَكَ
أن تَكونَ حَياتُك بينَ يدَى اللَّه
من أن تَكونَ
بَينَ أَيدِى البَشَر) .

إلَهُ جَدَّتى هُوَ إِلَهى
مَن كانَت تُقدمُ لى
رَمَّانَةً حُلوَةً على طَبَق
وَتوصينى ألاَّ أَترُكَ حَبَّةً منها
تَقَعُ على البَلاط
لأنَّ اللَّهَ يَضَعُ فى كُلِّ رَمَّانَةٍ
حَبَّةً من رَمَّانِ الجَنَّة .

وحينَ جَمَعَ خالىَ رُفاتَ جَدِّى
فى كيسٍ منَ البلاستيك الشَّفَّاف
بانَ منهُ جُمجُمَةٌ صغيرةٌ
أصلحُ أن تكونَ لطفل

مع بَعضِ العظامِ السوداءِ المكسرة
وَنَقَلَهُ على دَرَّاجَته النَّارية
منَ المَقبَرَة الشَّرقيَّة
حَيثُ أَقيمَت مَحَطَّةُ القِطار
إِلى قَبرِهِ الجَديد
بظِلِّ سورِ جامعِ المَغرِبى
قالت : (رَحمَهُ اللَّه
مَكتوبٌ لَهُ
أن يركَبَ الدَّراجَةَ النَّاريَّة
خَلفَ أحَدِ أولادِه) .

مَن يَصيحُ بكَ :
(الصَّلاةُ خَيرٌ منَ النَّوم)
النَّومُ وليس أىِّ شَىءٍ آخر

***

ثُمَّ يَدَعُكَ تَحلَم .

مَن يَأمُرُكَ أن لا تَفعَلَ هَذا وذَاك
أمَّا إذا اضطَّرَرت
إذا اضطررتَ غيرَ باغٍ
فَلا بَأس .

مَن إذا أخطَأتَ
مَرَّةً ومَرَّتينِ وثَلاث
مَن إذا قَضَيت حَياتَكَ كُلَّها
تُخطِئ
وَفى اللَّحظَة الأخيرَة
حينَ لَم يبقَ لَديكَ
أقلُّ وَقتٍ أو أدنى فُرصةٍ
لأىِّ خَطأٍ آخر
تُبتَ وطَلَبتَ المَغفَرَة
يَقبلُ .

مَن أوجَدَ العالَم
وهُوَ فى غِنَىً عَنه
لكنهُ يتَحَمَّلُ وزرَهُ كاملاً .

مَن خَلَقَنا ولَيسَ فى نَفسهِ غايَةٌ
سوى أن يُحبّ
وَكأىِّ عاشقٍ حقيقى
يشترطُ علَينا أن
لا نُشرِكَ فى حُبِّهُ أحَداً .

مَن جَلَسَت جَدَّتى لِتَقرأَ فى كِتابِه
فَراحَت تُتَمتمُ
بما تَحفَظُهُ عَن ظَهرِ القَلب
من (آيَة الكرسى)
وَهِىَ تُقَلِّبُ مع كُلِّ كَلِمَةٍ

***

صَفحَةً كاملةً
من سُورَةِ (البَقَرَة)
لَكنهُ

***

سَمِعَ وفَهِمَ وَسُرَّ .

قَلتُ لَها :
(هَل تَعلَمينَ يا جَدَّتى
أنَّ ثُلثَىَّ جَسَدِ الإنسانِ
ماء ؟)
قالت : (لا ... بَل ثُلثاهُ
دُموع) ..

كلما رأَيتِ غُرابًا طائرًا تذكَّريني

هذا يعنى أنَّكِ فى نُزهة
أحدَ أيامِ الصيف
فى البريةِ
خارجَ حدودِ المدينة
وقد انتقيتِ شجرةً كثيفةَ الأوراق
وفرشتِ تحتَها بِساطًا
أو اكتفيتِ
كعادتكِ
بالعُشبِ القصيرِ النامى حولَ جِذعِها
مستلقيةً على ظهركِ
حريصةً أن تَضعى رأسَكِ
حيث لا تستطيعُ الشمس
أن تصلَ إلى وجهك
وما أن تسدلى جفنيكِ

حتّى تهبَّ ريحٌ خفيفة
تهزُّ فروعَ الشجرة
أو تبدِّلُ الشمسُ زاويتها
درجةً واحدة
لتراكِ
فتعود وتسلِّط عليكِ أشعتَها الحارقة
وربما تضطرينَ حينها
أن تفتحى زهرتى عينيكِ
إلى صوتٍ يناديكِ
أو حركةٍ غير مرتقبة
أو صمتٍ طويلٍ بلا مبرر
فى تلك اللحظة تلمحينهُ
بقعةً داكنةً ذاتَ جَناحين
تسبَحُ فى مُحيطٍ من الوهجِ
وسيكون حظًّا طيبًا
إذا ما مرَّ بظلِّه
فوقَ عينيكِ .

أو أنهُ يعنى فقط
أنكِ تقفينَ على النافذة
وقد ضِقتِ ذَرعًا

بالطاولةِ والسريرِ والكُرسى
وكلٍّ ما يلتصِقُ بالأرض
مثلَك
وأن شيئًا يدفعُك
أن تُطلقى نظَرَك
أن تمليئ صدرَك
بما هو أشدُّ بُعداً
بما هوَ أشدُّ رحابةً
عندَ ذاكَ
صُدفةً
ترَينَهُ
عابراً سقفَ المدينة الحجرى
دونَ أن يَخفقَ بجَناحيه
أكثرَ من خفقةٍ واحدةٍ
مُخترقًا ضجيجَها
دونَ أن يُطلقَ صيحةً
ويا لها من فُرصة ثمينةٍ
أن يَحُطَّ بُرهةً
فوقَ أحدِ السطوح
على ساعد هوائىٍّ أو
فُوَّهةِ مِدخنة

غيرَ بعيد عنك
ثمَّ يهُبُّ فجأةً ليتابعَ طريقَه
فتشعرينَ بأنه
هو تماماً
ما كنتِ بأشدِّ الحاجةِ أن ترَيهِ .

إنهُ ليسَ مجرّدَ غراب
أقولُ لكِ
إنّهُ
غرابٌ
طائرٌ
بخفقاتٍ معدودةٍ من جناحيه الكبيرينِ
يستطيعُ أن يصلَ إلى حافةِ الأُفق
ثم بِخَفقَةٍ أخرى
يغيبُ عنِ النّظر
وهو إن رأيتَهُ أو سمعتَهُ

وحيداً قُربَ بُركةِ الماءِ الضحلةِ
في حديقةٍ عامة
أو واقفًا على ذؤابةِ سروةٍ
في مقبرة

يشدو على طريقتهِ
فذاكَ لسببٍ
ليسَ لنا أن ندركَهُ
أو لغاية ليس لنا
أن نحكمَ عليها
فقد خبرَ بمرورِ كلِّ تلكَ الحِقَب
كيفَ يبقى عصيًّا
على مُتناولِ البشر
مُتقنًا حتَّى النِهايةِ دورَهُ
ألاّ يجعَلَ لشيءٍ فيه
لهم منفعةً
فلا يُشنِّفُ بصوتهِ آذانهم
ولا يُوسِّدُ بريشهِ رءوسَهم
ولا حتى يُسرُّ بمَرآه ناظرَهم
عَداكَ عن بيضهَ الزَنِخ
ولحمهِ الذي لا يُليّنُه
سلقٌ أو شواء
مُحيطًا رأسَهُ بهالةٍ من الغُموض
مُشيِّعًا عن نفسه
أقاصيصَ كثيرةً من العداء
والكُره .

إِنّهُ ليسَ فقط غُرابا
سمعتُ عنهُ أخبارًا متناقضةً
مرّةً عن غبائه
ومرّةً عن مَكرِه
ومرةً عن حكمته
أو قرأتِ في قصةٍ صينيةٍ
من قِصصِ الثَرثارين
عن رامي نِبالٍ عظيم
كان يصطادُ غُرابًا كلَّ يوم
ليُعِدَّ من نقيعِ لحمه وعظامه
حساءً لزوجته المُتبرِّمة
أو شاهدته في صورٍ مُتسلسلة
وهوَ يتّخذُ
كافَّةَ أوضاعه الغريبة
بجانب جُمجُمة
إِنَّهُ غُرابٌ طائرٌ.. أقول
يستطيعُ بخَفقاتٍ مَعدودة
من جَناحيه الكبيرين
وهما يعكُسان بريقًا أسودَ
أن يذهبَ بعيدًا بعيدًا
إلى حيثُ

ليسَ لنا أن نكون
ليسَ لنا أن نصِل
ليسِ لنا
أن نعلَمَ .

كُلَّما رأيت
غُرابًا طائرًا
تذَكَّريني . .

من (الشاي ليسَ بطيئًا)

الشاى ليسَ بطيئًا .. نحنُ سريعون.

بَيتٌ مُضاءٌ لا يَسكُنُهُ أحَد

إِذا راقَبتَهُ
مِن نافذَة بَيت ٍقَريب
أَو مِنَ الرَّصيفِ المُقابِل
خَلفَ جذعِ شَجَرَة
لَن تَرى رَجُلاً
يَخرُجُ أَو يَدخُلُ
أو امرَأةً تَقفُ عَلى الشُّرفَة
لن تَلمَحَ رَأسًا
يُطلُّ مِنَ النَّافذَة
أَو ظلالاً
تُرسَمُ عَلى السَّتائر .
وإِن بِدافِعِ الفُضول
عَبَرتَ المَسافَةَ الَّتى تَفصِلُ
بَينَهُ وبَينَ مَكمَنِك

فَسَوفَ تَجدُ مصباحًا صَغيراً
يُنيرُ غُرَّةَ بابِه
وهذا يَعنى
أنَّ فى داخله مَن سَوفَ
يَفتَحُ لكَ البابَ إذا قَرَعتَه
لَكنَّهُ الصَّمتُ
هُوَ مَن يَستَقبلُكَ
فاتحًا لَكَ ذراعيه
مُغلقًا عَلَيكَ ذراعَيه
مَثَلُهُ مَثَلُ غيابِكَ
تَدريبٌ عَلى
المَوت .

وإن تَجَرَّأتَ
ودَفَعتَ البابَ قَليلاً قليلاً
فسَيُبهِرُ عَينَيكَ
فَجأةً
انفلاتُ ضَوءٍ حادٍّ
منَ الشَّقِّ الَّذى صَنَعتَهُ بيَدِكَ
لأَنَّ أحَدًا
أضاءَ غُرَفَ البَيتِ كُلَّها

وَالمَطبخَ والحَمَّام
والمَمَرَّ الضَّيقَ الطَّويل
الَّذى نُصبَت عَلى حائطه
بمُواجَهَة المَدخَل
المرآةُ الفضِّيَّةُ الكَبيرة
الَّتى وَحدَها مَن رآه
يَخرُج .

خَرَجَ
دُونَ أن يُغلقَ البَابَ خَلفَهُ
وكَأنَّهُ كانَ يَخشى أن
يَسمَعَ صَوتَ إغلاقه نائمٌ
أو غافل
خَرَجَ وكَأنَّهُ سَيبتاعُ غَرَضًا ما
منَ الدُّكان المُجاور
أو خَرَجَ مُسرعًا
ولَيسَ لَدَيه دَقيقَةٌ منَ الوَقت
ليُضَيِّعَها بَحثًا عَن المفتاح
وَقَد تَنَبَّهَ
رَغمَ قَلَقه واضطرابه
أنَّه لَن يَحتاجَهُ أبدًا

لأنَّهُ لَن يَعودَ أبداً
خَرَجَ دُونَ أن يَقولَ كَلِمَة
أو يَترُكَ وَرَقَةً صَغيرة
أو يُلقى مُجَرَّدَ نَظرَة
خَرَجَ
وَكَأنَّ أحَداً يَنفُخُ لَهُ
بوقَ السَّيارَة
خَرَجَ وكَأنَّهُ امرَأةٌ
تارِكَة .

هَكَذا
بَيتٌ مُضاء
وَلا يَسكُنُهُ
أحَد . .

لَستُ مُجبَراً عَلى التِقاطِ
كُلِّ شَيءٍ يَقَع
في الغُرفَة المُحكَمَة الإِغلاق
إذا تَكَلَّمتُ
يَدخُلُ شُعاعٌ مِنَ النُّور
من صَدعٍ في الجدار
أَو ثُقبٍ في النَّافذَة
ويُضيءُ فَمي .

إِذا وَقَفتُ مُديراً للعَالَمينَ
ظَهري
تَأتي امرَأَةٌ
وتَضَعُ رَأسَها عَلى كَتِفي
مُسدِلةً شَعرَها الأَخضَرَ الطَّويل

خَلفى .

حينَ سَمعتنى أَتباهى :
(لا أُريدُ أَنَ أَكونَ
أَفضَلَ من أَحَد)
كُنتُ أُصدِّقُ أَنِّى

***

كَما تَقولين
أَفضَلُ الجَميع
لأَنَّهُ أَينَما جلَستُ
عَلى يَمينك أَو يَسارِكِ
يَتَّجهُ الدُّخانُ نَحوى
يَحسَبُنى
نافِذَة .

....

....

.....

....

....

....

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . .

فى حُلُمى رَأَيتُك عاريَة
ومُلقاةً عَلى ظَهرِكِ
فَوقَ سَريرٍ حَجَرى
يُشبهُ المَذبَح
وأَنا أُغَطِّيك
كَحرامٍ مَرسومٍ عَليهِ
نِمرٌ مُخَطَّط .

كُلَّما بَحَثتُ عَن شَىءٍ
لأُعطيه لَك
عَلَىَّ أَن أُعيدَ
تَرتيبَ
العالَم .

ريلكه أنا ..

هُوَ .. هُوَ
كَما فى حُلُمٍ قَديمٍ
يَتَكَرَّر .

فى كُلِّ ما يُبقيهِ ماثِلاً
اللَّغوِ
الَّذى يَقودُهُ
إِلى تَمامِ
فَحواه .

لَكنَّ ذَلكَ لَن يَعنى
لَمسَهُ باليَد
ولا حَتَّى القُدرَةَ عَلى وَصفِهِ

لأَنَّهُ يُمكِنُ الجَزم
عندَما لَم يَقرّ لَهُ قَرار
مُستَغرِقًا كُلَّ ما أُعطِيَ من وَقت
وهو يُحاوِلُ اتِّخاذَ الهَيئَةِ المُناسِبَة
كانَ قَد ضَيَّعَ احتمالَ
صُورتِه .

مُؤَكِّدًا كَونَهُ
نُسخَةً طبقَ الأَصلِ عَن نَفسِهِ
راحَ يَغسِلُ فَمَهُ
مِن أَقواله
وقَد أَدَّى إِفراطُهُ في الحُبّ
إِلى إِثارَةِ كُلِّ عاطِفَةٍ لازِمَة
لِلقيامِ بِعَمَلٍ جَماعي
يُساهِمُ بِه
حِرصًا عَلى إنجازِهِ بِأَفضَلِ وَجه
نِساءٌ
لَم يَرتَدِينَ الثِّياب قَط
حُرِّمَت عَلَيهِنَّ مُغادَرَةُ الأَسِرَّة
إِلاَّ لِقَضاءِ الحاجات
ومَلائِكَةٌ

من أَصنافٍ شَتَّى
يَتَنَقَّلُونَ من مكانٍ إلى مكان
حاملينَ عَدوى أَوبئَتِهم المُقَدَّسَة
وآلِهَةٌ ظَهَرَت لَهُ مِرارًا
وقالَت لَهُ شَيئًا
فَلَم يُعِرها انتِباهَه
وذَلكَ لِتَبديدِه في مَصيرٍ
أَشَدَّ مَحواً من تَعاقُبِ
اللَّيلِ
والنَّهار .

مُظَلِّلاً عَينَيه
من بَريقِ عُيونِ الآخرين
يَغُذُّ السَّيرَ
نَحوَ كُلِّ ما يَنأى ويَزوغ
ولا يَجِدُ لِنَفسِه مَوضِعًا
مُداوِيًا دَوارَه
بِتَثبيتِ نَظرِه إلى نقطةٍ ما أَمامَه
حَتَّى إِنَّهُ حَسِبَ الحائطَ
في ثَباتِه
طَريقًا .

الأُغنياتُ لَم تَمنَحهُ الطُّمَأنينَة
مُحافِظًا عَلى ارتيابه
بكُلِّ ما يُفصِحُ عَن داخله
فى ذَلكَ الانزِواء
الَّذى يُشبهُ
يَدَ المَوت الفَارِغَةَ
مِنَ الحَنين
يَنمو ذاهلاً
كَعُشبٍ سامقٍ
بَينَ حِجارَةِ الخَرائب .

بَعدَ أَن استُقبِلَ بِحَفاوةٍ شَديدة
التَفَتَ ولَم يَجد فى البَيت
أَحَدًا من أُولَئكَ
الَّذينَ احتَشدوا
فى انتظاره
وبِإصبَعه المروَحيَّة
رَسَمَ حُدودًا
فى الفَضاء بينَهُ وَبينَهُم
ثُمَّ راحَ يَعَضُّ

عَلى الهَواء
بأَسنانِه .

لأَنَّهُ لَن يَكونَ أَبَدًا مَرئيًّا
إلاَّ بَعدَ انفجاراتٍ ضَوئيَّةٍ
مُتَكَرِّرَةٍ كَهذِه
تَبدو وكأَنَّها سَوفَ تَستَنفِدُ
كُلَّ مادَّته
حينَ تَتَلاشى مَعَ الأَيَّام
قُدرَةُ صَلَواته
عَلى شِفاءِ الآخَرين
حَتَّى
مِن مَرَضِه ..

(إلى أسامة منِزَلجي)

يَسمَحُ لِنَفسِهِ بالتَّردُّدِ فى أَن
لا يُجيب
عندَما يَسمَعُ اسمَهُ يُنادى
حَريصًا ألاَّ يَخرُجَ إِلى
الشُّرفَة
أَو يَمُدَّ رَأسَهُ مِن النَّافذَة
قَبلَ سَماعه
نَشرَةَ الطَّقس .

مَن لَم يُخطِئ
مَرَّةً واحِدَةً بالتَّصفيق
فى الفَواصِلِ الَّتى يَتَوقَّفُ بِها العازِفون
قَبلَ نِهايَةِ اللَّحن

ذَلكَ لأَنَّهُ أَبَدًا
لا يُصَفِّق .

فى سُهولَة كَشفه مُتَواريًا
فى بَيته ... فى غُرفَته
ليَحسَبَ الآخَرونَ أَنَّهُ هَكَذا
جَريًا عَلى حاله
كَحَديقَة خَلفيَّة
شُغلَ عَنها أَصحابُها زَمَنًا
فتَكَدَّسَت فيها أَكوامٌ منَ خُردَة
سُكَّان الطَّوابق العُليا
تَخَلَّلَتها أَعشابٌ غَريبَةٌ
لا أَحَدَ يَدرى
من أَينَ جاءَت بُذورُها
مُتَّخذًا الوَحدَةَ
مَظهرًا ثابتًا للرُّوح
كانَ كُلُّ ما يَفعَلُه
يَنتَظرُ أَحَدًا .
فالوَحدَةُ فى خَياله
اللافتَةُ الأَشَدُّ إغواءً
كَى يَحُطَّ مَن يَحملُ

الصِّفات .

سرُّه
أَنَّهُ لا يَستَطيعُ لوَحده
أَن يَرقُصَ حَتّى نهايةِ أَيَّة أُغنيَة
وبعدَ كُلِّ تلكَ الخُطوط
الصَّارمة فى تَحديد الأَشكال
يَدَعُ الفُرشاةَ تَقَعُ من يَده
وكأَنَّها تَسقُطُ صُدفَةً
فى فُوهَة الدَّواة
وبالكَاد يَبتَلُّ رَأسُها
لأَنَّ حبرَهُ فى الأَسفَلِ باتَ قَليلاً
ولأَنَّ الصَّدى
عشقٌ أَصابَهُ وَلَم يَقتُله
فَصَدَّهُ بجِدارٍ من
الازدراء .
مَن رَسَموا الخرائطَ
وأَسقَطوا عَلَيها الاتِّجاهاتِ والمَواقِع
جَميعُهُم ضاعوا
ذَلكَ هوَ مَكرُ الخُلود
وكَأَنَّهُ شَىءٌ لا مَفَرَّ لَهُ

أَن يَحدُثَ لَنا
مَهما بَلَغَت دِقَّتُنا
في رَصدِ الإشارات
وقُدرَتُنا عندَ آخرِ فُرصَةٍ
عَلى إِصابَةِ الهَدَف
بَيَنما الآخَرون
مُنهمِكونَ في حَرَكَةِ
. . .
الانجِراف .

فَها أَنَذا أَمامَ بابكَ
بَدَلَ أَن أَقرَعَ الجَرَسَ
أُطفئُ
الضَّوء . .

أَخافُ أَن يَأتى أَحَدٌ
ويُجَنِّبَنى هَذِه الحَرب
لأَنِّى أَحمِلُ اسمًا مَيِّتًا
وقُوَّتى عاريَةٌ مِنَ
الأَوراق .

أَخافُ أَن يَأتى أَحَدٌ
ويَقولَ لى :
(دَعِ المَوتَى
يَدفنونَ مَوتاهُم
واتبَعنى)
أَتبَعُهُ
مُجَرجِراً
مَوتاى

فى قَلبى .

يَمضى وَهُوَ يُغَنِّى :
(لَم أُخلَق لأَتبَعَ أَحَداً)
فَأَتبَعُهُ وأَنا أُغَنِّى :

***

(لَم أُخلَق لأَتبَعَ أَحَداً) .
لأَنَّه يَنقَصُنى كُلُّ شَىء
أَسُفُّ مَطحونَ وَرَقِ الغَار
وَفى كُلِّ مَرَّةٍ
أَنسى إِذا أَكَلتُ مِنهُ
سأَموت .

أَخافُ أَن يَأتى أَحَدٌ
يَعرِفُنى مِن ظَهرى
بَينَ الوُجوه
فَيُنادينى بِاسمِى ولَقَبِى
ويَمنَعُنى أَن أَمضى
إِلى حَيثُ
(ثِيابى
تُلائمُ الطَّقس) .

قالَ إِنَّهُ سَيقطَعُ طَريقى
وأَنا نَفسى
لا أَعرِفُ طَريقى !

أَذهَبُ
مَعَ
الهَواء .

أَخافُ أَن يَأتى أَحَدٌ
ويُمسكَنى مِن كُمِّ قَميصى
أَو يَتَعَلَّقَ بِى مِن ساقى
فَلا أَستَطيعُ أَن أَجرى
خَلفَ
كُلِّ شَىءٍ
يَجرى . .

من (منَ الصعبِ أن أبتكرَ صيفًا)

- عندما كتبَ فى أوّلِ صفحةٍ من مُفكِّرته السنَوية : (تَحتَ وَطأة إغواءٍ شديدٍ أن أكونَ حقيقيًّا) ، وضعَتْ بالقلمِ الأحمرِ خطًّا مائلاً ( ) بعدَ (أكونَ) ، وكتبَتْ فوقَهُ (حَيوانًا) .

سَطرٌ على خوائهِ يُحسَد

سادِراً فى أهوائِه
يَمضى فوقَ الأجرافِ
ثُمَّ يُعَرِّجُ على الشُّعُبِ
فى مُحاولةٍ منهُ لِخِداعِ الحَواسّ
قائلةً :
(عرَفتَنى حتّى المَضيق)
نفسى لا أذكُر
إن كنتُ أنا مَن لَمَسَهُ
أَمْ
أمَرتَنى
بهِ
أحلامى !.

فهوَ إذا ناداهُ باسمِه

يضَعُ لهُ (ياءً) فى آخرِه
ويُحصيه فى عداد رَقيقه
فلا يصيرُ من حَقِّ أحدٍ
أن يأخُذَهُ لنفسه
ولا من واجبِهِ أن يُعطيهِ
لغيرِه
مُنضَمًّا إلى افتتانٍ مُغرِضٍ
فى سطرٍ لَم يُكتَبْ عليهِ حرفٌ
الجميعُ يعلَمُ أنَّهُ يَحمِلُ
آلافَ المعانِى
لذا
علَى خَوائهِ
يُحسَد .

سيّانَ أن تنتظرَ منهُ هاتفًا
تَهذُرُ به ظُنونَكَ
أو أنتَ مَن لا يطيقُ الانتظار
فتسارِعُ وتتَّصلُ
فيُجيبُكَ :
(الوقتُ - كَما تَرى -
نَصلٌ بِلا مِقبَض

يَجرَحُ
لا لطَعنةٍ منهُ أو لِحَدّ
بَل لسُرعَته
أو بَطىءٌ تتأفَّفُ من
طولِ
تَلَهّيه) .

منَ الصَعب عليَّ
أن أبتَكرَ صَيفًا
أشدَّ لُزوجةً من فَخذَيك
ذلكَ أنّى بلَغتُ منَ الحُبِّ
ما جعَلَ
فَنّيَ
الوحيدَ
هوَ
. . .
الأَذى . .

(إلى نوري الجرّاح)

لَم يكُن بوُدِّي أن
أُحدِّثَك عن أشياء
(ماذا يُجدي ذلك !)
كنتُ أُريدُ أن تُحدِّثَك
الأشياءُ عنّي
أن أستعيرَ شِفاهَها
لأقولَ لك
حتّى إنَّهُ مرَّ في خاطِري :
(بشَفاه الآخرين
أستطيعُ
تقبيلَك) .
خطئي أنّي لَم أعرِف
من أيِّ زاويةٍ

ومن أيِّ مسافةٍ
كانَ عَليَّ أن أنظُرَ إِليكِ
كقمرٍ نَهارى
يذوبُ فى ضوءٍ قَوىّ
كنتُ أراكِ
بعينِ الألَم .

لا يلزَمُنى البَتَّةَ
أن أقفَ على حافَّةِ سَطحٍ عالٍ
وأنظُرَ إلى الأسفل
مُتَخيلاً كيفَ
سَيكونُ سُقوطِىَ الحُرّ .

أو أن أذهبَ إلى مكانٍ فيهِ ضَجيج
وأصرخَ وأصرخَ وأصرخ
لأتَمالَكَ نَفسى
وأستَعيدَ بعضَ قُدرتى
على التحكُّمِ بتفكيرى :
(فلقد أحببتُكِ أحببتُكِ
وتلَوَّثتُ)
وصارَ ذلِكَ عَسيراً

حتّى على ازدرائكِ المُبطَنِ
للشفقةِ .

ذلكَ أنّى آثَرتُ معكِ
انْهزامًا مَجيدًا
عَوَضَ مُجرَّدِ انتصارٍ
لَن يسمَحَ لى أحدٌ أن أدَّعيهِ لنَفسى
حينَ لَمَستُ الكأسَ
وأزَحتُهُ من مكانِهِ
ألفَ مرَّة
ولَم أُفكِّر
رَغمَ جَفافِ فَمى
أن أرفَعَهُ
أمامَ كلِّ مَن يَرانى
وأشرَبَ منهُ
قَطرَة ..

إذا كانَ الحُبُّ عَيبَهُ

كمكانكَ فى حُبِّه
خُدعتَ فى استطلاعه
لكنَّهُ هوَ مَن سيتقدَّمُ إليكَ
مُستصوِبًا
خطأكَ .

إذَن أعدْ لهُ
ما كنتَ تَنوطُ به من شَهوةٍ
العاشِقُ الَّذى رَميتَ بهِ مرارًا
إلى أحضانِ الآخرين
لتَعودَ وتَشتَهيه
ما كانَ يومًا
بمَقدوركَ أن تَحتَملَ
أن يلمِسَهُ مَلاكٌ

بطرفِ جَناحه.

أصغِ لَه مُتَواريًا بينَ الأغصان
دونَ أن تدعَهُ يلمَحُك
أو عندَ المغسلة
حيثُ يُمكَنُكَ
أن تَختبئَ خلفَ ستارة الحائط
وستجدُ أنَّهُ ليسَ فَى هذِرِه العَذَبِ
ما يَمجَّهُ
التكرار.

هوَ الواقفُ فى النصف
وقفَةَ الحَدّ
فلا يشيدُ ولا يَهدُم
وإن مالَ
فبرقَّة لازَمتهُ
ما لازَمَهُ هَواءٌ
يهُبُّ فجأةً
فيخفُقُ ثَدياه.

فإذا كانَ الحُبُّ عيبَهُ
فليسَ فيه عَيب
ولا يُخشَى عليهِ إلاّ من

غبطَة سوفَ تقَعُ
وَشيكًا على فَمِه
فتفضَحُه .

أدركْهُ من شَقوَة تَمادت
وخُذْ نصيبَكَ من نصيبه
وإذا سَمِعتَهُ يقولُ مُهَمهِمًا :
(إلَهى
رَجائى ألاَّ يكونَ لى غَدًا
رَجاء
فَمن أينَ لى يدٌ
تَمتَدُّ و
ترشُفُنى)
فلا تُصدِّقهُ
وانزَعْ عنهُ قشرتَه
وقُلْ لهُ : (كَما قلبُكَ قَلبى
يَدى
يَدُكَ) ..

أندَمُ على جَرائمي دونَ أن أرتكِبهَا

لَو رَسمتُ صُورتي
عاشقًا
وكانَ لي أن أُعلِّقَها
على حائطك
لتَرشُقيني بتلكَ النظرَة الزاجرِة
في غدوكِ ورَواحكِ من أمامِها
كلَّ يومٍ
ألفَ مرَّة
لَكُنتُ على شَكلِ
زهرةٍ
عملاقَةٍ
شَديدةِ الزَغَب .

طَوَّحتُ بكُلِّ ما لَدَىَّ
على الطَّريق
الَّذى سَمَّاهُ الآخرون
حُبًّا
تَوقًا إِلى مَعنى
مُثقَلٍ
ومُرهِقِ .

أنا الَّذى مَضيت دونَ شَكوى
إِلى نصلِ الألَم
بقُوَّة العاطفة
الَّتى تُطيحُ
بكُلِّ
ذَنب .

كانَ على غَرائزى
أن تَصبُرَ دَهراً
حتّى تُثمرَ
كانَ علىَّ أن أتلهّى
بفَضائلى القليلَة
حتّى يتَوافَقَ

حَشدٌ من
الصُّدَف .

ذلكَ الكأسُ النُحاسى
الَملىءُ بالدَّمِ
والخواتِم
كان علىَّ أن أدلُقَ ما يَحتَويه
ثُمَّ أُطوِّحَ بالكأسِ بَعيداً
كانَ علىَّ قبلَ تركِكِ
- لَو استطعتُ -
كَرهُك وقتلُك
كَى لا يكونَ لى سببُ
عَودة
كَى لا يكونَ مآب
كانَ علىَّ أن أندَمَ
على جَرائمى
دونَ أن
أرتكِبَها . .

تنينٌ سَماويٌّ ذو ذَيلٍ مُبَهرَج

خُذْ يدَها المُلوِّحةَ كصورَةٍ
خُذْها كَتفصيلٍ مُضخَّم
وضعْها ضِمنَ إطارٍ خاص
يشغَلُ تقريباً
كاملَ الصفحَّة
فلا يبقى لَديكَ
مُتَّسَعٌ
لبَقيةِ نظرَتِها .

ثُمَّ يأتِي اختفاؤها
كسُطوعٍ حادٍّ
يتبعُهُ انطفاءٌ
ذو

عُنفوان .

لا مانِعَ
الآن
أن أُغلِقَ البابَ
وأنا أقولُ بِصوتٍ
لَن يسمَعَهُ أحدٌ سِواى :
(وَداعًا لعَتَمةٍ
كانت تُقيمُ وشائجَها بينَنا)
فاستَطاعَت أن تُعادِلَ

***
طَرائقَك الخَشِنَة
معَ أشَدِّ أجزائكِ الخفيَّة
عُذوبةً .
حينَ أفرَطتُ فى غِيرَتِى على
زُهورك
وكأنَّ ذُبولَها يُشبِهُ
غَريبًا ألَمَحُهُ
يَمُدُّ يدَه ويَلمسُ
خلسَةً
ما أملُك .

لأنَّهُ في الوقت الذى اعتادَت
فيه عَيناىَ علىَ عَتمَتك
وصَار بَمقدورى أن أَرى
شُعاعَ ضَوءٍ
يُلامسُ سَطوحَ الموجوداتِ وحوافَّها
فتبدو وكأنَّها
أشباحٌ ساكنةٌ
سيوقظُها بعدَ حين
صَوتٌ أو حركة
كانَ عليك
أن تُسارِعى بالخُروج
دونَ أن تلوىَ على شَىء
وكانَ علىَّ بالمُقابل
أن أنتَقىَ شَكلاً لائقًا لاختفائى
فلَم أجد
أشدَّ تفنُّنًا
من تَنينٍ سَماوىٍّ
ذى
ذَيلٍ مُبَهرَج ..

الشاعر

• معلر مصرى

- شاعر من سوريا

• صدرله :

- (آمال شاقة) إصدار خاص ١٩٧٨ .
- (بشر وتواريخ وأمكنة) وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٩ .
- (أنذرتك بحمامة بيضاء) مجموعة مشتركة مع الشاعرة مرام مصرى والشاعر الراحل محمد سيدة .وزارة الثقافة دمشق ١٩٨٤ . - (داكن) وزارة الثقافة دمشق ١٩٨٩ . صدر وصودر.
- (مزهرية على هيئة قبضة يد) دار رياض الريس بيروت ١٩٩٧.
- (الشاى ليس بطيئًا) دار رياض الريس بيروت ٢٠٠٤ .
- Les Gens De la cote مختارت مترجمة للفرنسية كلود كرال دار Alidades 2005
- المجموعات الأربع الأولى) دار أميسا دمشق ٢٠٠٦
- (من الصعب أن أبتكر صيفًا) دار رياض الريس بيروت ٢٠٠٨.

المحتوى

(*) القصائد التى لَم يُذكر مكان كتابتها كُتبت فى اللاذقية.

للنشر فى السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.

* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .

* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

صدر مؤخراً فى سلسلة
آفاق عربية

109- رسائل أوديسيوس ....نورى الجراح

110- قبر بنافذة واحدة.......................... سعدية مفرّح

111- المقهى الأسبانى.........................عائد خصباك

112- مديح الهرب.........................خليل النعيمى

113- مجنون زينب.........................جمعة اللامى

114- لا أخوات لى..............................عناية جابر

115- تصحيح وضع ....أحمد زين

116- تشاو روبرتا...........................غالية قبانى

117- عين الهرّ...........................شهلا العجيلى

118- ضوّ البيت / مريود / دومةودحامد...........الطيب صالح

119- وليمة قمر ...... شربل داغر / تقديم : مارى تريز

120- فى غيابها...........................نبيل سليمان

121- ما بين عمر وآخر .... جودت فخر الدين